

علاقة الصهيونية بالإمبريالية والنظام العالمي الجديد

عادل سمارة

(ورقة مقدمة لمؤتمر البرلمانين الدوليين للتضامن مع الشعب الفلسطيني، بروكسل 13-2008)

(ونشرت في نشرة "كنعان" الالكترونية - العدد 1585، بتاريخ 4 تموز/يوليو 2008)

* * *

ما هو النظام العالمي الجديد¹؟

ليست الصهيونية وليدأ يهودياً، بل مشروعاً راسمالياً غريباً وجد في اليهود أدوات تنفيذه في الوطن العربي. كما ليس الكيان الصهيوني نتيجة للمذابح ضد اليهود بما في ذلك المحرقة النازية التي سرّعت الهجرات وسهّلتها، لكنها لم تخلق المشروع الإستعماري الإستيطاني اليهودي في فلسطين. لقد باعت الصهيونية إلى ألمانيا الرسمية دماء اليهود بالمال، أما نحن، فدفعنا ثمن المحرقة دماً ووطناً. لكن ما لم يتوقعه عتاة المركز الإمبريالي وأدواتهم الصهيونية أن الفلسطينيين، بخلاف كثير من الشعوب الأصلانية المباداة ربما كلياً، سيقاومون ليس قرناً بل إلى الأبد. وعليه، "لم تُنجز المهمة" ولن تُنجز.

تتطلب تسمية النظام العالمي، التي تشير غالباً إلى أنه إقتصادي وحسب، تدقيقاً أكثر، كما هي كذلك تسميات الإمبريالية، الغرب، الراسمالية... الخ. وليس هذا لأجل تغيير التسميات، بل التدقيق فيها لا سيما في حقبة أمكن لرأس المال إلحاق ضربات موجعة بالعمل، اي النخب المالكة والطغم الحاكمة بالغالبية الساحقة من البشرية، وصلت درجة احتلال المصطلح وحتى جزءاً من الخطاب مما يخلق تشويهاً في وعي الطبقات الشعبية والشعوب المضطهدة والمحتلة². كما ان حصره في المستوى الإقتصادي يُغفل تمفصلاته الثقافية والطبقية، وحتى، ولو نسبياً، السياسية.

صحيح أن نمط الإنتاج الراسمالي مهيمن على معظم الكرة الأرضية بمعنى انتشار علاقات الإنتاج الراسمالية مما يسهل استخدام مصطلح "النظام الراسمالي العالمي"، ولكن من التمويه

- 1 -

كنعان - النشرة الإلكترونية Kana'an e-Bulletin

A Quarterly Review www.kanaanonline.org مجلة فكرية ثقافية

موازاة راسمالية ساحل العاج، على سبيل المثال، براسمالية الولايات المتحدة، وإن كان لكل نصيب فيه. كما أن تسمية مركز النظام الراسمالي العالمي فيها تضليل كذلك، فليس دور اليابان كدور الولايات المتحدة رغم كون البلدين من ضواري الإمبريالية بمعنى أن الإمبريالية الأميركية هي متحكمة بدرجة أو أخرى بالإمبرياليات القديمة³، ناهيك عن درجة أو قوة هجوم كل منها على محيط النظام العالمي بغض النظر عن تسميات الهجوم: هجوم على "الإرهاب"، الإرهاب العربي، الإرهاب الإسلامي، الخطر الصيني... الخ. إن عدم الإشارة إلى هذه التباينات لا بد أن تغطي على بعض بطش الولايات المتحدة "التي هي اليوم النظام العالمي الجديد، أو على الأقل أساسه"، والدول الوظيفية في خدمتها، وخدمة أنفسها بالطبع، كالكيان الصهيوني الإشكنازي⁴. لذا، يُجيز التحكم الأميركي بالنظام العالمي أخذ دور أميركا فيه، وعلاقات الأنظمة الأخرى بها، كمدخل لدراسة النظام العالمي نفسه إلى درجة تكون معها محاكمتنا للنظام العالمي هي محاكمة لأميركا. وهذا أحد مقومات هذه الورقة.

كما لا بد من أخذ تطور مراكز راسمالية أخرى بالإعتبار سواء من حيث خلق توازن قطبي محتمل، وكذلك، وهذا الأهم، من حيث ضياع فقراء العالم في صفقات بين القطبيات، المهيمنة والقديمة والصاعدة أقصد الصين⁵، روسيا، الهند مثلاً. باختصار، ليس النظام العالمي ولا حتى مركزه لوحة واحدة، وإن كان بمعناه العدوانى ما زال غربياً.

النظام العالمي وجود مادي، مصطلح يعبر عن وجود مادي ميلور بالضرورة، وهذا ما يكسبه معناه، في المبنى الإجماعي الطبقي على صعيد الدولة القومية والعالم مجسداً في مصالح الطبقات المالكة/السائدة وخاصة في المركز. لكن نُسبه بشكل أساسي للمركز لا ينفي وجود تفصلات طبقية على صعيد عالمي تخدم، تُوظف، وتتقاسم مع الطبقات الراسمالية في المركز/المراكز الإمبريالية. وإلا، فما معنى كل هذا الدعم للكيان الصهيوني الإشكنازي في جانب ودوره العدوانى على صعيد عالمي، وتقديم دولة قطر ثلث أرضها كقاعدة للولايات المتحدة الأميركية من جانب آخر، ومشاركة أنظمة عربية وإسلامية وعالمثالية وأنظمة هامشية في أوروبا في احتلال أفغانستان والعراق وتحطيم صربيا، وتركية الإحتلال الأميركي/الأثيوبي للصومال وإرسال قوات باسم الأمم المتحدة إلى الحدود بين لبنان والكيان الصهيوني، وكلها تحركات معادية للشعوب!

ماذا نسمي انتشار مصالح الولايات المتحدة في مختلف بقاع العالم، وقيام أنظمة مختلف هذه البلدان بتكريس هذه المصالح والدفاع عنها وإشراف الإدارة الأميركية على معظم حكومات العالم كما لو كانوا موظفين أميركيين هناك؟ قد يجوز لنا القول أن النظام العالمي مجسداً بقيادة الولايات المتحدة قد انشأ قطاعاً معقداً نسميه: "القطاع العام الدولاني الراسمالي المعولم". هو قطاع عام لمختلف الدول تتشارك فيه، وإن بتفاوتات هائلة، الدولة/الطبقة الحاكمة/المالكة في المركز والطبقة/الدولة الكمبرادورية والوظيفية في المحيط. لكنه على كافة الأحوال، ليس اقتصادياً بحتاً.

نقطتنا هنا هي وجود حالة من تشارك الهيمنة الطبقيّة للبرجوازية على صعيد عالمي كما لو كانت طبقة واحدة رتبت نفسها قيادياً ووظيفياً إلى حد كبير. قيادها الإداري، وتركزها المالي هو أساساً في الولايات المتحدة، على شكل الشركات الكبرى والدولة، التي لم يمت دورها بعد لكنه دور في خدمة الطبقة، وأي طبقة، طبقة على نطاق عالمي، ومن هنا نقول "قطاع عام دولاني رأسمالي معولم". وتحت هذا الوضع القيادي مالياً وإدارياً، تتسلسل تمفصلات طبقيّة على صعيد عالمي أيضاً إلى درجة مدهشة، متجاوزة بالطبع السيادة، ومزاعم الكرامة القومية والسيادة الوطنية... الخ.

لم يعد نشاط الشركات عابرة القومية محصوراً في المركز، بل نقلت جزءاً من قاعدتها الإنتاجية، وإن الأقل تطوراً، إلى محيط النظام العالمي ولا سيما المتضخم بعمالة رخيصة الأجر، فاقتصرت استيراد المواد الخام، وإعادة تصديرها ثانية إلى المحيط، اختصر الجغرافيا جيئةً وذهاباً. ولم يكن لهذا أن يحصل، لأنه لم يتخذ شكل احتلال، إلا لأن هناك أنظمة حاكمة وطبقات اجتماعية استقبلت ذلك بابتهاج في نطاق ما يسمى "إستدعاء راس المال الأجنبي المباشر والحفاوة به". وبهذا أسس لطبقة رأسمالية عالمية متفاوتة في الدرجة، ومحمية من أنظمة الحكم في هذه البلدان. وهذا خلق تناقضاً مع البلدان التي تحاول الخروج ولو النسبي من تحت عباءة المركز، بإقامة بنى إنتاجية مدنية محمية ببنى تسليحية. وكأن الدولة القومية في هذه البلدان في اشتباك محتمل مع المركز، وتوابعه في الأطراف.

نشأت في المركز وامتدت إلى الأطراف طبقة الفقاعة المالية، المضاربين، التي نشرت وهم الربح السريع وغير المتعب. فقد نفخت عبر المضاربات قيم اسهم الشركات في الولايات المتحدة مما جعل قيمة الإقتصاد الحقيقي الأميركي قرابة ثلث قيمة اسهمها في سوق المضاربات المالية. كما أن لهذه الطبقة تمفصلاتها على صعيد عالمي تساعدها في وضع اليد على مدخرات الطبقات الشعبية على صعيد عالمي. ففي آذار 2006 خسر المستثمرون الصغار في السعودية معظم استثماراتهم في السوق المالي⁶، أما في المناطق الفلسطينية المحتلة 1967 التي تعيش على حقن التمويل الأجنبي، فقد خسر اصحاب الأسهم نصف ما دفعوه، أي أكثر من 2 مليار دولار. فالنهب الرأسمالي لا يعرف الحدود ولا يرحم الأيتام!

أدى الانتقال إلى "الإقتصاد الجديد" إلى تغيرات في مبنى الطبقة العاملة على صعيد عالمي. لقد تم تقسيم الطبقة العاملة في مركز النظام العالمي، أميركا خاصة، إلى طبقة عمال الإقتصاد الجديد في قطاع المعلومات الإلكترونيات والإنترنت... الخ، وطبقة عمال الصناعة التقليدية، وطبقة عمال الخدمات بشكل عام.⁷ أما في المحيط، فأدى هذا الانتقال إلى تقسيم الطبقة العاملة إلى قسمين على الأقل:

○ العاملون لدى الشركات الأجنبية، والذين، رغم ضآلة أجورهم مقارنة مع نظرائهم في المركز، يشكلون طبقة عليا مقارنة مع عمال المشاريع المحلية في بلدانهم

○ وطبقة العمال في مختلف قطاعات الإقتصادات المحلية والنتيجة لهذا التقسيم هي تأكيد انتصار ما لراس المال على العمل، وإضعاف تماسك الطبقات الشعبية في مواجهة تعوّل رأس المال على صعيد عالمي، مما قاد ويقود إلى تدهور شروط الحياة للسواد الأعظم من البشرية والمتجلي في تزايد من هم تحت خط الفقر، وانتشار الأمراض وارتفاع نسبة الأمية، وتسهيل قيام المركز بالحروب.

وهكذا، لم يعد فهم النظام العالمي على اساس قومي صرف أمراً ممكناً، ولا على اساس تصنيف طبقي بحت عابر كليا للقوميات أمراً ممكناً كذلك. هو تحالف طبقي عالمي أساسه راسماليات المركز. وفي حين أن راسماليات المركز هي قومية بامتياز، أما مصالحتها فعالمية بامتياز أيضاً، فإن راسماليات المحيط هي جزء منه، لكن ارتباطاتها وتبعيتها وتفرقتها بالمصالح القومية لأممها، تطرح جدياً حدود ولانها القومي متنافسا مع تخارجها (*externalization*) العالمي/الطبقي. صحيح ان بعض الأنظمة المحيطية تحاول الخروج عليه، ولكن بالإجمال، هو نظام الطبقات الراسمالية في تحالفها ضد الطبقات الشعبية على صعيد عالمي. لذا، يعيش هذا النظام ويستمر بمقدار قدرته على التلاعب هيمنياً بالطبقات الشعبية عالمياً، وحين لا تفلح الهيمنة قد تُفلح الدبابة.

أمركة النظام العالمي

سمح تفكك الإتحاد السوفييتي للإمبريالية⁸ الأميركية بالعودة للإستعمار المباشر، وبهذا نقلت الحرب الباردة بين القطبين إلى حروب ساخنة في المحيط. على أن من جملة معاني هذه الحرب الساخنة هي إشعار الدول الطامحة في التحول إلى اقطاب، بأن دونها القوة العسكرية الأميركية المانعة لذلك. لذا، لا تلبث أميركا تؤكد أنها لن تسمح بتطور اي تحدٍ لها اقتصادي او عسكري. فطالما أكدت الطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة أنها لا "تتسامح" مع نشوء اية قوة عسكرية أو اقتصادية يكون بوسعها تحدي السيطرة الأميركية (إقليمياً: العراق، كوريا الشمالية ثم إيران)، وهذا لا ينحصر فرضه على أنظمة الحكم بل يُطال الشعوب كذلك، إنه ضد الحركات السياسية المقاومة للإمبريالية سواء مباشرة أو لا مباشرة وخاصة في فلسطين، والعراق وأفغانستان وصربيا، وقوى المقاومة داخل بلدان الأنظمة العميلة لأميركا، وخاصة حزب الله في لبنان ذي النظام الحالي العميل بصراحة للولايات المتحدة والكيان الصهيوني⁹، مجسداً هذا في شعار "لا مقاومة في حقبة العولمة".

فعلى الرغم من التكوين المتسارع للإتحاد الأوروبي بتعدد إمكاناته الهائلة، فإن الولايات المتحدة ما تزال متحكمة بالمركز الأوروبي الغربي. فقد بينت وقائع عدة في العقود الثلاث الأخيرة عمق هذا التحكم الأميركي لدرجة يمكن القول، بدون مبالغة كبيرة، بأن أميركا هي الدولة المستقلة

الوحيدة في العالم، وبأن أوروبا واليابان مناطق حكم ذاتي، في حين أن بقية العالم مثابة مستعمرات مستباحة. وإلا فما معنى ذلك الإصطفاف الأوروبي وراء السياسة الأميركية سواء في التخطيط أو التنفيذ العسكري أو التمويل، سواء في فلسطين فالعدوان على العراق (1991)، وقصف يوغسلافيا (1999)، واحتلال أفغانستان (2001) والعراق (2003)¹⁰ وحصار كوريا وكوبا وإيران، وبالطبع في دعم الكيان الصهيوني ورعايته المتواصلة.

وحتى حين تدهور الإقتصاد الأميركي إلى درجة عالية من الطفيلية، ووصل الأمر بالولايات المتحدة درجة تمويل عجزها وسيطرتها وحروبها واستهلاكية مواطنيها على حساب الأمم الأخرى، كان ذلك بسبب ومن أجل قوتها العسكرية. فقد قفز العجز في الولايات المتحدة من 100 بليون دولار عام 1989 إلى 500 بليون عام 2002. كما نضبت المدخرات القومية الأميركية نظراً للإنفاق الحربي الهائل والإنفاق الاستهلاكي الذي تربي عليه الأميركي. فالمواطنون الأميركيون يستهلكون ما ينتجه العالم، ويمولون ذلك بما يتدفق إليهم من مدخرات واستثمارات العالم. تجدر الإشارة إلى ان الإستثمارات اليابانية في أميركا التي اعتبرت غزواً لأميركا هي في الحقيقة تمويل ياباني وأوروبي لأميركا.

ينطبق الأمر نفسه، وإن بقدر أكبر من التبعية على بلدان الخليج العربي التي استوردت اسلحة من الولايات المتحدة بما قيمته 73 بليون دولار في الفترة من 1981-2006، وقدمت قائمة طلبات تسليح مؤخراً ب 13 بليون دولار، ورغم ذلك فهي تصرخ مستغيثة من "الخطر الإيراني" وتثير فتنة (الشيعة والسنة) كي تبرر للولايات المتحدة احتلال الوطن العربي وضرب إيران. فإذا كانت كل هذه الأسلحة عاجزة عن حماية مشتريها، فما لزوم شرائها؟ أليست هذه المشتريات مثابة "ريع" اقتصادي لعلاقة سياسية جوهرها حماية الولايات المتحدة لأنظمة هذه البلدان من شعوبها؟

كما أن الصين الشعبية تدعم الدولار طالما تمول وارداتها بالدولار الذي تكسبه من فائضها التجاري الملموس مع الولايات المتحدة، مما يدعم الدولار. لذا، تواصل المؤسسات المالية الدولية والأنظمة البرجوازية في العالم دعوة الصين وبلدان النفط العربية لدعم الدولار. إن من مصلحة الولايات المتحدة الإصرار على الإحتفاظ بهيمنتها العسكرية لإخضاع الأسواق العالمية، وصناعة الحروب كي يتواصل استيراد منتجاتها من الأسلحة.

ما هو معروض على الطبقات الحاكمة في مختلف بلدان العالم هو التذيل للطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة. وهذا يعني انه كي تتمكن الشعوب من إحداث تغيير فإن عليها فك الإرتباط مع مشروع الطبقات الحاكمة وهذا يفتح على أهمية الحركات الشعبية المناهضة للحروب والعولمة، وهي، رغم كونها مخالط هائلة من الإتجاهات، هي جوهرياً وإن دون إعلان بعد، مناهضة للصهيونية لأنها ماكينة حروب من جهة، ووليد وظيفي للنظام العالمي من جهة ثانية.

الصهيونية راسمالية غربية قبل تهويدها

بخلاف سائر المستوطنات البيضاء، وجميعها راسمالية، ينفرد الإستيطان الصهيوني، وهو ابيض كذلك، بعدة خصائص، منها أن وطنه الأم هو المركز الراسمالي الغربي¹¹ من حيث دافع الإستيطان، ناهيك عن الأصول القومية المتعددة للمستوطنين اليهود في فلسطين التي تتجاوز مركز النظام إلى محيطه ايضاً. وعليه، فإن الحركة الصهيونية معلومة منذ بدايتها، بعكس الدين اليهودي هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن الصهيونية قد صهنت ورسمت الديانة اليهودية ومن هذا المنطلق تحديداً يمكن التعامل معهما مندمجتين اي بقدر صهينة الدين وتوظيفه وإحاقه وليس بقدر تهويد الصهيونية.

يفتح هذا الحديث على خلاف مع كثرة من الدراسات التي تنسب الصهيونية كوليده للإمبريالية، بل وطرح المسألة بحالة رمادية تشي بتناقض الصهيونية مع الراسمالية، حتى رغم نسبها إلى حقبة تأزم الراسمالية في شرق وغرب أوروبا. ويجادل هؤلاء بأن ولادة الصهيونية ترافقت مع توسع الراسمالية من النطاق القومي وتحولها إلى حقبة الإمبريالية مما قد يوحي بأن الإمبريالية حقبة أخرى مقطوعة عن الراسمالية من جهة ومع دورها الإستعماري من جهة ثانية. (أنظر لاحقاً)

وهذا يقربنا من أطروحة محمد ولد إلمي، بأن جذور الصهيونية نفسها ليست يهودية، وهو أمر يلقي تفسيره المقبول ويتقاطع إلى درجة كبيرة مع علاقتها المتواصلة، أي الصهيونية، مع النظام الراسمالي العالمي في حقبتيه الإمبريالية ومن ثم العولمة. ناهيك، وربما هذا الأهم، عن أن هذا الطرح يستكشف بأن الصهيونية كانت ضرورية للراسمالية الغربية في تخرجها الإستعماري، وبأن زرع هذا الكيان في فلسطين، كان سيحصل سواء نادى به الصهيونية السياسية لاحقاً أم لا، وهذا الأساس الموضوعي والمنطقي وراء التوليد الراسمالي للصهيونية.

"... منذ عهد الإصلاح الديني فإن العديد من مخططات الإستيطان الصهيوني لفلسطين قد رأت النور وتطورت على أيدي أوربيين غير يهود (متدينين وملحدين على حد سواء) كانوا قد سبقوا كلا من يهودا القلاي (1798-1868)، وموسس هيس (1812-1875) وثيودور هرتسل (1860-1904) الذين صادف ظهورهم مجرد بداية صهينة اليهود أنفسهم وانخراطهم المباشر في فكرة الصهيونية والتي كانت في اساسها فكرة غير يهودية¹²".

كما يرد ولد إلمي الإهتمام السياسي واللاهوتي باليهود إلى مارتن لوتر (1483-1546) حيث رأى في اليهود حلفاء مرشحين ضد الكاثوليكية ومهتدين احتياطين للديانة البروتستانتية الجديدة. هذا على الرغم من تراجعهم عن موقفه لاحقاً تحت التهديد (نفس المصدر). على أن الأكثر أهمية أن بريطانيا الميركنتيلية في القرن السابع عشر، وخاصة بعد أن تمكن كرومويل من محاكمة وإعدام الملك تشارلز الأول، قد رحب باليهود لأنه كان مصمماً على استقدام التجار

اليهود من امستردام، المنافسة، إلى لندن بغية تقوية التجارة الإنجليزية في وجه البرتغال وإسبانيا حيث تقيم جاليات يهودية عرفت بالثراء والمهارات التجارية وشبكة العلاقات التجارية الخارجية¹³.

على أن افول نجمي إسبانيا والبرتغال لصالح بريطانيا وفرنسا، وانتقال أوروبا الغربية باتجاه الراسمالية الحديثة ممثلة في الثورة الصناعية، يعطي لكشف الجذور والأسس غير اليهودية للصهيونية، اي الجذور الرأسمالية، أدلة أقوى. يتضح هذا من تنافس كل من بريطانيا وفرنسا على كسب ود اليهود، وبالطبع على اساس وظيفي/استخدامي. فإبان محاولته الفاشلة لاحتلال عكا والقدس، توجه نابليون إلى اليهود بإعلان يقول:

" إن فرنسا تعرض عليكم (أي على اليهود) في هذا الوقت، وخلافاً لكل التوقعات، إرث إسرائيل... إن فرنسا لا تناشدكم احتلال هذا الوطن، كلا، بل مجرد الإستيلاء على ما تم احتلاله وبضمانات ودعم تلك الأمة، والمحافظة عليه ضد كل الغازين " ¹⁴. وأضاف نابليون داعياً اليهود للسير تحت رايته "لإعادة تأسيس القدس القديمة واصفا اياهم بأهم امة فريدة وصاحبة حق مشروع في وراثة فلسطين"¹⁵.

قد لا يكون هناك عرضاً أكثر سخاء من هذا! ولكن لا يمكن لهذا السخاء من إمبراطور راسمالي توسعي أن يكون بلا ثمن، وليس هذا الثمن سوى إقامة قاعدة يهودية في فلسطين لخدمة فرنسا في صراعها مع بريطانيا على المنطقة وطرق التجارة إلى الهند. أما وقد عجز نابليون أمام أحمد الجزار وأسوار عكا، ولاحقاً انتهى في معركة واترلو 1815 فقد انتقل توظيف اليهود من الرأسمالية الإستعمارية الفرنسية إلى الراسمالية الإستعمارية البريطانية. (سنلاحظ لاحقاً، أنه بقدر انتقال الإهتمام الراسمالي الإستعماري بتوظيف اليهود، كانت قرون الإستشعار الصهيونية تتابع ايضا تغير ميزان القوى لتلحق هي نفسها بموجبه بالقوة الإمبريالية الجديدة الأقوى).

ولا شك أن هذا العرض الفرنسي هو الذي كررته بريطانيا بعد أكثر من قرن سواء بوعد بلفور 1917، واحتلال فلسطين ورعاية الإستيطان الصهيوني في فلسطين حتى اليوم. لذا، عارضت الصهيونية البريطانية اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون داخلها وحرصت على انفصالهم بحجة انهم متميزين.

"...أمر شافنبري جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود ببناء كنيسة إنجيلية في القدس، على جبل صهيون نفسه إن أمكن ذلك¹⁶، كما انه أكد لبالمرستون ان الصهيونية ستكون الوسيلة الأسرع والأقل كلفة لاستعمار سوريا وبأنه لن يطلب من الضامنين ان يقدموا اية مبالغ مالية وان المنافع الناجمة عنها (أي الصهيونية) ستعود إلى العالم المتحضر بأجمعه"¹⁷.

بعث الفيكونت بالمرستون إلى السلطان العثماني برسالة يشرح له فيها المنافع المادية والسياسية التي تعود على السلطان من جراء تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين: "ان عودة الشعب

اليهودي الى فلسطين بدعوة من السلطان وتحت حمايته تشكل سدا في وجه مخططات محمد علي او من يخلفه¹⁸". لذا، كان التحالف البريطاني العثماني في الإعتداء على مصر وتصفية تجربة محمد علي لبناء دولة عربية حديثة. وهذا يفسر التفكير الإستعماري البريطاني والفرنسي المبكرين لإقامة كيان صهيوني في فلسطين كقاعدة لضرب الأمة العربية، وليست من أجل "ملجأ" يعيش فيه اليهود "المساكين"¹⁹!

كان القناصل الأوروبيون قد عملوا على فصل فلسطين عن دمشق منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر بهدف خلق دولة مسيحية في فلسطين وفصلها عن الدولة العثمانية. اما فريدريك ولهم الرابع فكتب في أمر اداري لمجلس الوزراء مؤرخ في 31-8-1839 قائلاً في استسلام: " انني اشاطركم الراي فيما افصح عنه التماسكم...من رغبة في رفع القدس الى دولة مسيحية. وأرجو ان لا تخطئوا بهذا الصدد في تقدير الصعوبات التي تعترض هذه الرغبة"²⁰. هل المسألة خدمة المسيحية أم تسابق دول المركز على المنطقة؟ يذكرنا هذا بحروب الفرنجة، واستخدام الدين لأغراض بحث فائض أمراء الإقطاع عن إمارات. تركز محاولات تأسيس دولة مسيحية في القدس بالمشروع الأكبر وهو تفكيك العثمانية التي ترنحت طويلاً قبل أن يُجهزوا عليها.

كان انتقال أوروبا الغربية من الإقطاع إلى الرأسمالية ونشوء المصارف المسيحية ودخول الرأسمالية الى الريف مثابة حراك اجتماعي شامل طال بدوره اليهود الذين فقدوا دورهم كصيافة للنبلاء والحكام وكسامرة ايضاً. فانتقلوا إلى المدينة بما هي مركز الإنتاج في التشكيلية الاجتماعية الإقتصادية الطالعة. وهناك أنشأوا معازلهم الطوعية، "الغيتو"، التي يعني وجودها رفض الإندماج او العداء للمجتمع المحيط.

نلاحظ انه بالتوازي مع رسملة أوروبا الغربية، كان يتم انعزالاً أوسع لليهود، قرارهم الذاتي بالإنعزال ليس على أسس دينية، وإنما لأنهم أكثر ارتباطاً بنمط الإنتاج الإقطاعي (أعمال الربا، والسمسرة، والصيرفة) هذا رغم انتقالهم إلى عالم المدينة الأرحب. بعبارة أخرى، كانوا من المواطنين الأوروبيين الذين أعيق ترسلهم مقارنة مع برجوازيات تلكم البلدان. يقول الكيالي: " وأدى نشوء الرأسمالية الصناعية في أوروبا الغربية إلى انهيار وظيفة اليهود الإقتصادية والاجتماعية، مما اضطرهم لمغادرة بعض البلاد أو إلى طردهم من مدن أوروبا الغربية فنزحوا إلى أوروبا الشرقية، حيث استمروا في لعب دور التاجر والمرابي والخمار ووكيل الإقطاعي في استغلال الفلاح مباشرة إلى أن برز في القرن التاسع عشر فجر الرأسمالية الصناعية في روسيا وبولندا فاهتز وضع اليهود اهتزازاً تاماً...واسهمت ازمة الرأسمالية في تغذية اللاسامية...وفي ظل اشتداد وطأة اضطهاد اليهود إثر المجازر الروسية عام 1882، وفي ضوء رغبة الممولين الغربيين في توجيه هجرة يهود أوروبا الشرقية إلى خارج أوروبا، نشأت الحركة الصهيونية وهددت هدفها في إيجاد دولة يهودية خارج أوروبا"²¹.

تشكل هذه التطورات المناخ الذي طور رؤية الصهيونية السياسية لمستقبلها. فلا شك أن حصافة ما توفرت لهرتسل ومؤيديه بأن مستقبل العالم منوط هذه المرة بالطبقة الرأسمالية في أوروبا الصناعية، شريطة أن يكون هؤلاء "اليهود" مطواعين لمتطلبات أوروبا الرأسمالية، وأن على يهود أوروبا أن يغيروا موقعهم الجغرافي بقيادة حركة ذات إيديولوجيا برجوازية صغيرة وجدت نفسها في مأزق بين إقطاع يتهاوى ورأسمالية مأزومة²²، وطالما لم تعد أوروبا مؤاتية لدورهم الإقتصادي كما ان عليهم تجليس دورهم المالي ضمن الانتقال الرأسمالي الأوروبي إلى مرحلة الإمبريالية. وعليه، كان تفكير هرتسل مثابة نقل الصهيونية الأوروبية (البحث الأوروبي عن أداة في الوطن العربي) إلى الصهيونية اليهودية (بحث البرجوازية الصغيرة اليهودية، عن موقع استثمار اقتصادي ضمن مشروع سياسي بالطبع) ولكن ضمن تطورات النظام الرأسمالي العالمي وليس لما قد يبدو تناقضاً بين اليهود والرأسمالية في أوروبا في تلك الفترة، بقدر ما هو توظيف الرأسمالية الأوروبية لليهود. كانت الصهيونية السياسية/البرجوازية إذن بصدد البحث عن موقع جغرافي لمشروعها الإقتصادي. ومن هنا زاجت بين علمانيتها، وهي علمانية تمتعت ولا تزال بمرونة تصل حد التنازل عن العلمانية نفسها! وبين الديانة اليهودية كي تجند الكثافة الديمغرافية لمشروعها. وعليه، فهذا يبين المشترك الإمبريالي وتلاقي المصالح بين الصهيونية والرأسمالية الأوروبية الغربية بمعنى أن كليهما أخذ يبحث عن استعمار مناطق خارج الوطن الأصلي، الأولى بحثاً عن مكان لاستعمار استيطاني، والثانية بحثاً عن مستعمرات. وهذا يفتح على حقيقة هامة هي أن الصهيونية لم تجد لمشروعها مكاناً مناسباً في أوروبا، وبما أن مناخ الإستعمار الإستيطاني كان سائداً في أوروبا في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، فالصهيونية كحركة استيطانية، عانت من أزمة الرأسمالية في تلك الفترة، وجدت أن خلق مشروع استيطاني هو حلاً لطموحها الرأسمالي. أما اعتماد اليهود كمشروع بشري لها، فقد دفعها لإحياء مزاعم التوراة بشأن أرض الميعاد وزعم تواصل ما يسمى بتاريخ إسرائيل!

لقد بينا بأكثر من ملاحظة أن دولة غير عربية، أي أوروبية، يهودية/مسيحية غربية في فلسطين ليست فكرة يهودية صهيونية بل استعمارية أوروبية. وعليه، قد تكشف التتقيات البحثية ان الحركة الصهيونية استقرت على فلسطين تحت رغبة وضغط الدول الكبرى، وهي، رغبة بل مصلحة التقطها هرتسل وطالب أن يكون هذا الإستيطان بحماية "الدول الكبرى مجتمعة، وقد اجتمعت ولا تزال! لذا، وبعد أن فهمت الحركة الصهيونية ما ارادته الدول الغربية التي هدفت إلى خلق دولة وظيفية في فلسطين، وليس دولة لليهود كيهود في اي مكان يختارونه، تحدث هرتسل عن "الدول الكبرى مجتمعة" وبالتالي رفض عرض السلطان عبد الحميد الذي كان سيئاً للعرب والأتراك، وغير سخي لليهود:

"... إن السلطان عبد الحميد قد وافق عام 1902 بعد مفاوضات طويلة مع هرتسل الذي عرض عليه مبلغ 1,600,000 جنيه استرليني على منح اليهود حق الإستيطان الإستعماري في العراق وسوريا والأناضول واستثنى فلسطين مما دفع هرتسل إلى رفض العرض²³. وبالطبع، لا يمكن لهرتسل أن يقبل بغير ما حددته الدول "الكبرى مجتمعة" أو متفرقة.

ليس شأن هذه الورقة كتابة تاريخ الصهيونية، بقدر ما هو تتبع علاقاتها بالنظام العالمي من جهة وإثبات أبوته لها، في مواجهة مزاعم تنسب اختراعها إلى يهود من جهة ثانية.

الصهيونية والإمبريالية: حركة "متعددة القوميات" في حقبة القوميات الأولى

من التضليل بمكان تسمية القرن التاسع عشر بعصر القوميات. فهي تسمية تُعمَّم تاريخ أوربا على العالم بأسره. ففي ذلك العصر كانت بلدان العالم الأخرى تعيش عصر المستعمرات. كما ان هذا القرن لم يكن عصر "قومية يهودية". بل كان عصر صناعة القوميات الأوروبية الإستعمارية لحركة صهيونية تستخدم الدين اليهودي لتعجن من هذا وذاك ما تسميه "بالقومية" اليهودية. المهم في الأمر أن الحركة الصهيونية أوروبية المنشأ، ولاحقاً الصهيونية اليهودية في نهاية القرن التاسع عشر قد نشئت في عصر القوميات في أوروبا²⁴ وتحديداً ضمن التوجهات الإستعمارية العدوانية لهذه القوميات، ومن هنا كان لزومها، وكان مناسباً إنشاء خطاب "قومي" لليهود طالما الخطاب القومي هو السائد عالمياً آنذاك. تماماً كما هو البحث عن مكان لإقامة مستوطنة بيضاء كما كان دارجاً آنذاك. فالصهيونية حركة برجوازية، بغض النظر عن مرااحتها بين البرجوازية الصغيرة والكبيرة من يهود مختلف القوميات الأوروبية ولاحقاً قوميات معظم بلدان العالم، تولدت في حقبة هيمنة نمط الإنتاج الرأسمالي وتوسعه الإستعماري بما في ذلك جانبه الإستيطاني، ولذا عملت من خلاله على إقامة دولتها الإستيطانية. لذا، لم يكن الأمر مكلفاً لهرتسل بأن يبيع مشروع دولة يهودية في فلسطين لبريطانيا، فهي نفسها طالما حلمت بذلك.

كان معظم اليهود الذي استوطنوا فلسطين في بدايات القرن العشرين من فقراء اليهود من اصول فلاحية وعمالية قدموا من روسيا هرباً من برامج القيصير، كما كان هناك مهاجرون من شرق أوروبا من العمال المهرة وصغار الراسماليين، أما التمويل فكان من رجل البنوك البارون روتشيلد²⁵. وهذا ما يفسر أن الحركة الصهيونية أعطت أولوية في ثلاثينات القرن العشرين لاستجلاب راسماليين يهود²⁶.

لم يكن إبراهيم ليون محقاً حين وصف تمويل البارون روتشيلد واليهود الموسرين الآخرين بأنه محاولة مساعدة "لإخوتهم" غير المحظوظين بالعودة إلى أرض "أجدادهم" فهل كان روتشيلد اشتراكياً (ولو انحصرت اشتراكيته في اليهود) وهل يمكن وصف راسمالي بانه مجرد محسن كريم؟ هل يستقيم هذا الوصف العاطفي مع التحليل الطبقي؟. ولكنه كان محقاً حين أكد أن نتيجة هذا الدعم للأستيطان لن تكون "مزعجة" للبرجوازية اليهودية في الغرب، لسبب أنها كانت تتخوف من انتقال اللاسامية إلى الغرب. وهو الغرب نفسه الذي وُلد لاحقاً النازية. كما هو محق كذلك في قوله بأنه رغم كون الهجرات الأوروبية على أشدها إلى شمال

أميركا وأستراليا وجنوب إفريقيا، لم يقد اليهود بتحريك هجراتي كهذا. لكن تبلور الحركة الصهيونية والانتقال الأوروبي الشرقي إلى الراسمالية بما حمل معه من خلل وحراك طبقي جعل الإستيطان بالنسبة لهم أمراً مُربحاً. لذا، علينا التذكّر بأن روتشيلد كان مأخوذاً بنجاح مستوطنات بيضاء في عدة أماكن في العالم، ومن هنا، فإن استخدام الدين "والأخوة في الدين" ليس إلا تكملة للموقف المركزي وهو المشروع الراسمالي للبرجوازية اليهودية. يرى ليون ان الصهيونية تواكبت مع وصول الراسمالية في البلد الواحد إلى أزمة. وبالطبع القومية كحركة هي نتاج فترة الصعود الراسمالي وهي الفترة التي بدأت عملية اللاسامية تأخذ تفاقماً وهي الأزمة التي حاولت حلها عبر الإمبريالية. وهنا تجدر الملاحظة، أن هذه هي اللحظة التي تنبعت الإمبريالية لفائدة الصهيونية فتبنتها.

لم تكن قيادة الحركة الصهيونية السياسية، في نهايات القرن التاسع عشر لا سيما مؤسسها ثيودور هرتسل الذي كان يُطل كصحفي على تطلعات الغرب الراسمالي، لم تكن بحاجة لكبير ذكاء حتى تلتقط وجود مساحة تفهم وتفاهم في التشكيلات الراسمالية الغربية لمشروعها الإستيطاني، بما هو، اي نمط الإنتاج الراسمالي متخارج ليس فقط من حيث علاقات الإستعمار والنهب للمحيط بل حتى الإستيطان في المحيط، ناهيك عن المقدمات التي بدأها دُعاة الإصلاح الديني²⁷ ومن ثم عُنَاة الراسماليين البريطانيين والفرنسيين قبل تبلور الحركة الصهيونية نفسها، وهو ما تجلّى في تبني الصهيونية من قبل بلدان المركز ذات الدور والمصالح الإستعمارية في الوطن العربي، وهي نفسها البلدان الضالعة في الإستيطان على صعيد عالمي (بريطانيا وفرنسا)، وهو الإستيطان الذي تولدت عنه دولاً راسمالية من جهة، والأكثر تطرفاً وعنصرية وعدوانية في التاريخ البشري من جهة ثانية (الولايات المتحدة، كندا، أستراليا، نيوزيلندا وجنوب إفريقيا... الخ).

واضح أن الإستيطان الأبيض المذكور هذا هو من فوائض وطرائد بلدان المركز الراسمالي الغربي، وهو استيطان توجه إلى مناطق مغربية بذلك، في حين أن فلسطين ليست بنفس مستوى الإغراء هذا، إلا أن موقعها هو الذي دفع بلدان الغرب الراسمالي إلى استخدام اليهود وتوظيف الأساطير الدينية لتجنيد اليهود للإستيطان في فلسطين. لعل الفارق الأساس هو أن اليهود الذين استوطنوا فلسطين كانوا من نفس مواطني بلدان المركز ومن نفس جنسياتها المتعددة، مع فارق المعتقد الديني ليس إلا²⁸. لذا، نذكر ثانية، إن الإستعمار اليهودي لفلسطين لم يبدأ من قبل الصهاينة، ولكن على يد منظمة فرنسية أدارها ومولها البارون إدموند دي روتشيلد. وبهذا الخصوص، فإن منظمة روتشيلد، المسماة التحالف الإسرائيلي العالمي كانت على عداة للصهيونية حتى نهاية ثلاثينات القرن العشرين²⁹.

أما وقد بدأت فكرة ومحاولات الإستيطان في فلسطين منذ حقبة الراسمالية الإستعمارية، فإنها اي الصهيونية حركة، ومن ثم دولة، قد رافقت النظام الراسمالي العالمي في مراحل الثلاث: الإستعمار، الإمبريالية والعولمة، وبأن وجودها واستمرارها، بغض النظر عن كون اشتراط الإمتداد الزمني لوجودها ببقاء هذا الإستعمار الغربي الراسمالي في الوطن العربي³⁰.

وحيث زعمت الصهيونية أنها حركة علمانية راسمالية، فإنها لم تنس استخدام الدين اليهودي لاستجلاب مستوطنين لمشروعها، وطالما أن الغرب الراسمالي يريد لها أن تكون قاعدة عدوانية له في الوطن العربي، فلا بأس من استخدام الأساطير الدينية، وأكاذيب الإعلام الغربي الذي صنع "تواصلًا دمويًا نسبيًا قبائليًا" بين يهود ما قبل الميلاد ويهود مختلف القوميات في عالم اليوم (كما زعم نابليون وشافيتسربي وغيرهما)! وهذا ما يخلق بعض الالتباس لدى الباحثين في الشأن اليهودي لا سيما حين محاولة فك الصهيونية عن اليهودية وهو امر غاية في الصعوبة، لأن اليهود هم مخزونها البشري الوحيد، منذ بداية هجراتها إلى فلسطين، إلى وقت قريب، اي حينما فرغ المخزون، فصار لا بد من التفاف إيديولوجي بما يخدم التراكم الديمغرافي فتم قبول من ليست أمه يهودية، وهي عملية التفاف ثانية على الديانة اليهودية. أي هزيمة أخرى للدين لصالح راس المال. هذا ناهيك عن هزيمة الدين لصالح الصهيونية كحركة دولانية على اعتبار أن الدولة اليهودية لا تُقام إلا بظهور المسيح؟ (ناطوري كارتا *Natori Karta*). لذا، حسب عكيفا أور فإن الصهيونية كحركة علمانية وليست دينية رأت ان على اليهود، دون انتظار الله، ان يخلقوا دولتهم³¹. وهذا يفتح على انتهازية ثيودور هرتسل الذي اسس لأول صناعة للصهيونية، وهي صناعة³² "قومية يهودية".

في هذا الصدد كتب هرتسل العلماني: " إن المسألة اليهودية ليست مسألة اجتماعية أو دينية، بل هي مسألة قومية، لا يمكن حلها إلا عن طريق تحويلها إلى قضية سياسية عالمية تتم تسويتها على يد الدول الكبرى مجتمعة³³". المهم هنا هو "تحويلها إلى قضية سياسية عالمية" اي تصنيع "قومية" يهودية على يد الدول الكبرى مجتمعة، (تصنيع طائرة الكونكورد من قبل عدة دول أوروبية مثلاً) وهو ما قامت به هذه الدول قبل مجيء هرتسل. ما يحل مسألة قومية هي في الأساس وجودها في مكان، اي وطن الأمة نفسها. وإذا كان الوطن غائباً فالأمة مزعومة بالضرورة³⁴، ولا معنى للحديث عن قومية. من هنا كان على هرتسل التقاط تأليف "قومية" يهودية من التراث السياسي للدول الكبرى، ولم يزد على الأمر إلا قوله بأن تقييم وتحمي هذه "الدولة" "الدول الكبرى مجتمعة"، اي المركز الراسمالي بلا موارد. كيف لا، فما هي الآلية التي بوسعها تجميع اليهود في فلسطين غير المركز الراسمالي ومن الذي له المصلحة في ذلك غير هذا المركز؟ فالإندماجيون اليهود لا يفضلون الهجرة لأنهم يرون أنفسهم مواطني مكانهم، وهذا ينسف حديث هرتسل عن ان المسألة اليهودية مسألة قومية، لكنه يؤكد هدف هرتسل وهو تحويل قطع الغيار المتعددة إلى عربة واحدة، اي محاولة خلق مشروع قومي، وليس حل مشكلة لمشروع قومي موجود³⁵. إذن هي تشكيل مجتمع، حول فكرة ومصلحة لطبقة بدعم المركز المستفيد من توظيف هذه الدولة وليس لأن هناك قومية موجودة ومن ثم تقييم دولتها.

يجادل المسيري في هذا الصدد: "...ومن المقولات المسيطرة مقولة "التاريخ اليهودي" التي استقرت في وعينا وإدراكنا برغم أن اليهود ليس لهم تاريخ واحد، فيهود اليمن وإثيوبيا يختلفون في تاريخهم ولغتهم وثقافتهم عن يهود الولايات المتحدة وهؤلاء يختلفون عن غيرهم أيضاً، والواقع أن يهود كل بلد يقع تاريخهم في إطار تاريخ البلد، وإلا فلم يتحدث يهود الفلاشا بالأمهرية ويتعبدون بالجعيزية لغة الكنيسة القبطية، بينما يتحدث يهود الولايات المتحدة بالإنجليزية ويتعبد معظمهم بها³⁶.

كان لا بد للصهيونية من استخدام الرواية الدينية لإقناع اليهود غير الراسماليين بالقدوم إلى فلسطين، وهذا بحد ذاته إثبات من الذات على "لا قومية" هؤلاء اليهود. كما أن محاولات الإستيطان في أكثر من مكان آخر في العالم، قبل فلسطينين هو إثبات على أن الرواية الدينية لم تُلاقَ إجماعاً يهودياً كذلك.

"...وكانت أهم التجارب الاستيطانية في العصر الحديث هي الاستيطان في القارة الأميركية وقد أقام اليهود المستوطنون شبه دولة في برز دنيتس عام 1670 ولكن الثوار العبيد قضوا عليها عام 371774"، وهو الأمر الذي لم يفلح في أوغندا ولا في الأرجنتين، كذلك لأن "الدول الكبرى مجتمعة" لم ترغب في ذلك. وهنا تلاحق المشروع البرجوازي اليهودي مع الثقافة الدينية. وهذا يشير إلى دور الثقافة في السياسة، في مختلف مراحل التاريخ، بما فيها، بل وخاصة في حقبة هيمنة نمط الإنتاج الرأسمالي حيث يمكن أن تأخذ المسألة حالة "تصنيع" الثقافة لا نموها الطبيعي.

وهذا يهز الأساس "القومي والديني" للصهيونية وفي النهاية للكيان الصهيوني نفسه. إن تعدد أماكن الإختبار لإقامة هذه المستوطنة تبين أن هذه المشروع هو مشروع راسمالي جرت دراسات جدوى متعددة له، وانتهت بأن الأجدى هو احتلال فلسطين لأن "الدول الراسمالية الكبرى مجتمعة" هي وحدها التي يمكن أن تقوم بذلك. إن البحث عن مواقع استيطان بديلة تأكيد على عدم وجود قومية أو شعب يهودي. إنها سمات مشروع راسمالي تتم دراسة جدواه هنا أو هناك. وهذا ما يؤكد ان الصهيونية حملاً راسمالياً وما تسمى "قومية" يهودية هي سفايح سياسي أمني.

ربما ذهب كاوتسكي أبعد من غيره في مسألة اليهود معتبراً أنهم ليسوا أمة لأنهم يفتقرون إلى منطقة جغرافية، ولغة مشتركة، وحتى إلى عدد مناسب في مختلف الطبقات الإجتماعية ليكونوا أمة عصرية. وقد تنبأ أنه من خلال إلغاء الدور الخاص الذي لعبه اليهود في المرحلة الإقطاعية سوف يقود الى تماهيهم وذوبانهم. وعليه، فإن الصهيونية هي يوتوبيا رجعية لأنها لا تستطيع مواكبة تطور التصنيع الرأسمالي وهو الخط الضروري للتطور³⁸.

يتجلى بعد نظر كاوتسكي في ما كتبه: "أحذركم لأنكم ستنتهون بنهاية السيطرة الإنجليزية والفرنسية على هذه المنطقة، وبالتالي فوجودكم فيها قصير قصر وجود هؤلاء أو محدود بوجودهم"³⁹.

مرة أخرى، يقول هرتسل: "كان على الهوية الجديدة أن تكون ذات خلفية أوروبية. ويتضح من يوميات هرتسل أن أمة جديدة في الشرق الأوسط يجب أن تكون توليفاً من مسرح باريس وفينا، وكفاءة لندن، وعظمة برلين العسكرية"⁴⁰. وعليه، ما هو المكون اليهودي فيها غير الدور الوظيفي لهذه الدول الكبرى "مجتمعة".

لكن الصهيونية، وهي ذات وجود وظيفي بالطبيعة، تمكنت من توظيف الدين اليهودي، ولا أدل على هذا من أن قسم الولاء في الكنيسة هو "الدولة اليهود". وقد تكون هذه للإستفادة الحصرية بمعنى دمج الدين والسياسة معاً، لنفي فتحها لغير اليهود. وهذا يطعن في حدود علمانية حقيقية للصهيونية، وهو ما اكده امنون راز بقوله:

"لكنه رغم هذه التحولات، فإن التمييز بين المتدينين والعلمانيين ليس مغلوطاً وحسب، بل مضللاً أيضاً، ويحول دون امكانية تفحص طابع "العلمانية" الإسرائيلية، وكما سأحاول أن أظهر هنا، فإن الموقف الذي يمثله العلمانيون قائم هو الآخر على تحليل ثيولوجي يرفض أية امكانية للتسوية القائمة على الاعتراف بحقوق الفلسطينيين وعلى التطلع للشراكة والمساواة بين العرب واليهود"⁴¹.

يفيد هذا بان مختلف مكونات هذا المشروع هي مكونات متضاربة ومدعاة. فلا الوجود لـ "قومية" يهودية أمر مؤكد، وليست الصهيونية يهودية في الأساس، كما أن علمانية الصهيونية ليست حقيقية بمقاييس العلمانية!

هنا يعود السؤال الأساس؟ في خلق هذا الكيان/ المشكلة: هل هو هدف الصهيونية خلق دويلة لها، أم أن الأساس هي مصالح راس المال في المركز ومن ثم تلبية أو شغل وظيفة معينة احتاجها فخلقها. بعبارة أخرى، مهما كانت إمكانات الصهيونية/ السياسية/ اليهودية، هل كان بوسعها احتلال فلسطين دون الحامل الإمبريالي؟ هل أساس الأمر الدين والتفجع في حائط المبكى أم راس المال والتوسع الإمبريالي، أي مصالح الراسماليات الغربية وهي التي توحدت فيها مصالح الطبقات المالكة/الحاكمة، وماكينتها الإعلامية والأكاديمية والثقافية في كل من اليمين واليسار!

مواقف التيارات السياسية في مركز النظام العالمي من الصهيونية

بادئ ذي بدء، فإن التيارات السياسية ليست معزولة ولا مستقلة عن أنظمة الحكم وسياساتها، وبشكل خاص في الدول الراسمالية الغربية. بل إن أغلب التيارات السياسية هي تبادلياً أو

ديكتاتورياً قوى حاكمة. لكنني افصل المكونين عن بعضهما هنا هو من أجل كشف النفاق الذي تمارسه الأكاديمية في المركز من جهة، والساسة الذين انتهت صلاحيتهم الإمبريالية من جهة ثانية (جيمي كارتر مثلاً) في مزاعمهم الإنسانية بحيث يبدون وكأن لا تاريخ استعماري دموي لهم. إن عدم تعرية هذا النفاق المكرس لخدمة النظام العالمي، يخدم في تشويه وعي الطبقات الشعبية المضطهدة بواقع دور الثقافة والأحزاب والأكاديمية في رسم وتنفيذ سياسات الإستعمار والإمبريالية والعولمة العدوانية. كما أنه يساعد التابعين من مثقفي المحيط على إخفاء وجه "معلمهم" من الأكاديمية الغربية، هذا ناهيك عن مخاطر منظمات الأنجزة NGOs.

بماذا يوحي توريث مواقف مركز النظام الرأسمالي العالمي لصالح الصهيونية، وعلى حساب الأمة العربية بصلف وتحدي وامتهان؟ وإلى ماذا يدفع هذا كله؟ فقد ظل الخيط الناظم لعلاقات الليبرالية الرأسمالية في المركز الإمبريالي من الصهيونية على حاله، وما طرأ عليه هو تجديد زخم دعمه للكيان الصهيوني. فقبل تشكل الحركة الصهيونية وبعدها وحتى اليوم، أي انتقال الليبرالية إلى النيو-ليبرالية يقف الغرب مدافعاً عن الصهيونية كما يدافع عن بلاده! ليس هناك من اختلاف بين دزرائيلي وجورج دبليو بوش، ولا بين بالمرستون وكوشنير، ولا بين انتوني إيدن وكلينتون او كونداليزا رايس.

فحزب المحافظين الذي تكون في القرن السابع عشر كان مضاداً لليهود بما هم قاتلي المسيح⁴²، لكن الموقف تغير بعد تشكل الحركة الصهيونية. أي ان مصالح راس المال قد غسلت دم المسيح! ومع ذلك تزعم المحافظة الجديدة /الإيفانجيلية الجديدة أنها "هي" المسيحية.

كان الفيكونت هنري جون بالمرستون (وزير خارجية بريطانيا 1830-1841، ولاحقاً رئيس وزرائها 1859-1865 وهو ليبرالي من أوائل وأكثر الساسة الإنجليز المتحمسين لاستيطان يهودي دولاني في فلسطين مما يمكن تسميته احد آباء الحركة الصهيونية، بينما هرتسل هو من أحفاده. ولا يختلف عنه وليام جلاستون (1809-1898) من الحزب الليبرالي ولاحقاً جوزيف تشامبرلين الليبرالي من حزب المحافظين، والذي هو صاحب فكرة الوطن القومي لليهود في فلسطين قبل بلفور حيث برزت هذه الفكرة لدى اجتماعه كوزير مستعمرات مع هرتسل في أكتوبر 1902⁴³ .

" سنقيم هناك جزءاً من جدار دفاع عن أوروبا في آسيا ونكون مركزاً متقدماً للحضارة ضد البربرية وسنبقى دولة محايدة على اتصال مع أوروبا، التي عليها ضمان وجودنا"⁴⁴.

أما المحافظ ونستون تشرشل الذي ساهم جدا في دعم الكيان الصهيوني، فوصف المقاومة العربية للإحتلال الصهيوني ب "الحرب القذرة ضد اليهود"⁴⁵ فهل المجازر في بغداد وغزة وجنين وكابل وبلغراد نظيفة؟، ليأتي بعده بسنوات قليلة أنتوني إيدن ليشن عدوان 1956 ضد مصر بتحفيز من الكيان الصهيوني وبمشاركة فرنسية.

لم تتغير مواقف التيارات السياسية في المركز الإمبريالي طوال القرن العشرين ولا في الألفية الثالثة. فحتى ما اسمي "الطريق الثالث" ممثلاً في توني بلير في بريطانيا، وشرويدر في ألمانيا، فلم يكن تاييدهم للصهيونية أقل من سابقهم.

أما الولايات المتحدة، فيمكن القول أنها تقيم مزاداً حزبياً علنياً كل أربع سنوات بين مرشحي كل من الحزبين الجمهوري والديمقراطي، ومن ثم بين مرشح كل من الحزبين، مزاداً حاول كل مرشح تقديم أعلى دعم للكيان الصهيوني واشرس عدوان وأقبح إهانة للأمة العربية! وقد يكون المزاد الحالي بين السيدة هيلاري كلينتون، وباراك أوباما هو المثال الأوضح⁴⁶.

إذا كان هذا موقف اللبرالية وخاصة المحافظة في التيارات السياسية الراسمالية الغربية، فماذا عن الإشتراكية الديمقراطية؟

لقد اختلف موقف الإشتراكية الديمقراطية عامة من الصهيونية بين فترة وأخرى. فالى أن انفصل التيار الشيوعي عن تيار الحركة الإشتراكية، كان هذا التيار مضاداً للصهيونية، لكنه اتخذ موقفاً متخلخلاً متردداً بين الحربين الإمبرياليتين الأولى والثانية، لينتهي بعدها متماثلاً مع التيار اللبرالي المحافظ مستمراً حتى اللحظة.

لعلها مصادفة ومفارقة لافتنتين أن نشوء حزب العمال البريطاني قد تواكب مع تبلور الصهيونية السياسية وتقاطعت مواقفه معها متأثراً بمواقف المهاجرين/المستوطنين الروس. يشير وتكنز ان تسلاً صهيونياً حصل في حزب العمال لا سيما في السنة التي وصل بها في الإنتخابات إلى السلطة. ولذا، فإن وعد بلفور حصل في ظل حكومة إئتلافية كان حزب العمال شريكاً فيها.

تجدر الإشارة الى أن تسلل اليهود الصهاينة إلى اليسار العالمي كان كثيفاً ومتواصلاً حتى اليوم. وهو التسلل الذي حول تروتسكيين قدامى إلى محافظين جدد حيث اكتشف هؤلاء التروتسكيون أن بوسعهم بناء أممية، حتى لو أممية راسمالية تقودها المحافظة الجديدة، والإثبات عليها مزج دماء الشعوب ببعضها البعض كما يحصل في العراق بشكل خاص حيث يُقتل العربي من عراقي وغير عراقي والأميركي الأبيض والمهاجر الجديد إلى أميركا من بولندا حتى لبنان! انسجم موقف حزب العمال البريطاني من فلسطين مع احتلال بريطانيا لها، حيث عقد الحزب مؤتمراً بهدف إخراج فلسطين من حكم الأتراك لتكون بلداً منفصلاً بضمناً دولي قد يعود إليه الشعب اليهودي⁴⁷.

وفي عام 1944 إبان الصراع مع النازية، صادق حزب العمال البريطاني على خطة من أجل طرد الفلسطينيين من فلسطين⁴⁸. أي وقف ضد قاتل اليهود، لكنه قرر تمكينهم من قتل الفلسطينيين! أما مؤتمر الأحزاب الإشتراكية لدول الحلفاء الذي عقد في لندن، فقد أقر وثيقة

حزب العمال بعد تعديلات طفيفة، وأكد على الإستيطان اليهودي في فلسطين⁴⁹. وقد تبنى حزب العمال عشية انتخابات 1945 سياسة تقضي بأن يصبح اليهود أكثرية في فلسطين، وأن تصبح منطقة هذه الأكثرية على حساب سوريا ومصر والأردن، وأنه لا بد من طرد العرب ليفسحوا مجالاً لهؤلاء⁵⁰. أية حقوق إنسان وحقوق أمم في تقرير مصيرها!

تجدر الإشارة إلى أن النفاق الإيديولوجي الإقتصادي الذي طالما كررته الصهيونية والكثير من القوى الإشتراكية واليسارية في الغرب الراسمالي بأن هناك "استعماراً إيجابياً" أو أن الكيان الصهيوني سينقل الفلسطينيين من البربرية إلى الحضارة، ان هذا يخفي ورائه مواقف عنصرية يسارية بيضاء، وأنها تغطية على تعصبها للصهيونية.

"إن من حق شعوب الحضارات المتفوقة لعب دور الأستذة على الشعوب ذات الحضارات المتدنية⁵¹". هذا ما استغله كيلانسكي حيث كتب: "ان الصهيونية تقوم بنشاط إنتاجي على مبادئ الإشتراكية بعكس الإحتكارات الرأسمالية التي تقام لصالح القوى الإستعمارية وأضاف ان المستعمرات الإشتراكية تستغل الأماكن المهجورة لصالح استيطان حضاري⁵²، وأن المستعمرات الصهيونية تنقل العرب من البربرية البدائية الى الحضارة والإقتصاد المتطور⁵³".

كذب طريف، واشتراكية استعمارية من طراز خاص. استيطان حضاري واستعمار اشتراكي! هل بقي مكاناً في ذهنية البشرية لهذا الكذب؟ وهل البربرية أن يعيش الفلسطينيون في وطنهم بهدوء وبتطور تدريجي، أم اقتحام وطنهم بمحرقة ممتدة بما هي طبعة صهيونية للمحرقة النازية المشتدة!

موقف التيار الشيوعي

" كان موقف ماركس وإنجلز كمؤسسين للحركة الإشتراكية العلمية واضحاً من المسألة اليهودية (كدين وقومية تحديداً وكدور سياسي) هو موقف رافض. لم ينظر ماركس إلى اليهود كعرق وإنما تناولهم بمنظور طبقي، وركز على اندماجهم بالرأسمالية، بل إن اليهودية كما يقول ماركس قامت بتهود الرأسمالية أي سيطرت على المسيحية أيضاً. لكن إنجلز كان أكثر وضوحاً فكتب: " إن بقايا أمة سحقت في مجرى التاريخ، سوف تصبح باستمرار سندا متعصباً للثورة المضادة إلى أن تختفي". هل هناك ثورة مضادة لم تدعمها الدولة الصهيونية، من جنوب إفريقيا قبل سقوط الأبرتيد إلى زائير إلى زمر العسكر في أميركا اللاتينية إلى العديد من الأنظمة العربية... الخ⁵⁴.

بعد ثورة 1917 منح لينين والبلاشفة اليهود الذي رغبوا في العيش في منطقة يتمتعون فيها باستقلال ذاتي منطقة تعرف بيروبدجان. كانت تلك اشارة من جهة البلاشفة لتبين ان دولة العمال كانت تضع حدا لكافة اشكال التفرقة. ولم تقبل الغالبية العظمى من اليهود بالعرض لانهم

شعروا بان حقوقهم الان قد ضمنت في ظل روسيا ما بعد الثورة. لقد جاء لينين متأخراً اي بعد أن اقيمت العلاقة الوظيفية بين الحركة الصهيونية والمركز الإمبريالي وخاصة بريطانيا، وبعد اتفاق سايكس-بيكو، وبعد وعد بلفور... الخ. وربما كان تحرك لينين رداً على اتفاق سايكس-بيكو الذي فضحته الثورة البلشفية بعد إسقاط القيصرية في روسيا.

" لقد رفضت الإشتراكية الديمقراطية ما قبل الحرب الأولى قبول كل من البوند والصهيونية من منطلق رفض انتظام اليهود على اساس قومي... فقد اتفق لينين وكاوتسكي وروزا لكسمبورغ واوتو باور على أنه ليس من المقبول ان يطوروا كياناً ذا سيادة بل استقلالاً ذاتياً⁵⁵". وقد اشرنا في موضع سابق ما أكده لينين للبوند بأنهم لا يعيشون، أي اليهود، على بقعة جغرافية.

لكن تدهور الإشتراكية الديمقراطية لم ينحصر فيها نفسها، بل نخر التيار الشيوعي نفسه كذلك.

"...إن سرقة اراضي الفلاحين العرب لمصلحة الإستعمار الصهيوني... ولمصلحة ملاك الأراضي العرب الكبار والراسماليين الأجانب، والإبقاء على الملكيات الإقطاعية من جانب الملاكين العرب والسلطة الدينية... كاسباب رئيسية أدت في مجموعها إلى الانفجار الجماهيري في فلسطين... لقد تسارع نضوج الأزمة الثورية بسبب نمو البطالة وزيادة سوء اوضاع العمال العرب واليهود على السواء...⁵⁶".

فهذا الموقف، وإن كان يدين سرقة أراضي الفلاحين، فإنه لا يدين الوجود الإستيطاني الصهيوني نفسه، بل وكأنه يعتبره أمراً واقعاً. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن الحديث عن طبقة عاملة مشتركة النضال من العرب سكان البلاد الأصليين والمتسوطنين اليهود، هو إما ضحالة وعي نظري، أو قلة معلومات ميدانية ومعرفة بالمشروع الصهيوني، أو تضخم بتشويه صهيوني للوعي.

على العموم ظل تيار الحركة الشيوعية من الصهيونية متماسكاً إلى أن طغى عليه موقف الدولة في الإتحاد السوفييتي، وهو الموقف الذي قام على التحليل السطحي بأن الإستيطان الصهيوني سيقم حليفاً إشتراكياً في فلسطين. وهذا، حتى لو صح، ليس أكثر من سياسة دولة وليس موقفاً فكرياً ونظرياً ومبدئياً. فالحركات الإستيطانية لا يمكن أن تكون اشتراكية، ولا يمكن أن تقود إلى حل إشتراكي. وبخلاف هذا، فالأمر ينم عن ضحالة في تحليل النظام الراسمالي العالمي وهي ضحالة لا تليق بحركة شيوعية في ابسط الأحوال.

ففي 15 أيار 1948 قال أندريه غروميكو في خطابه في الأمم المتحدة: "انه يقر بطموحات اليهود لإقامة دولة لهم في فلسطين. وبهذا، فإن القول العربي عن وعد بلفور بأن "من لا يملك قد أعطى لمن لا يستحق" لا ينطبق على وعد بلفور وحده بل على الإتحاد السوفييتي كذلك، بل وعلى كل من يعترف بهذا الكيان⁵⁷، بمن في ذلك أنظمة الكمبرادور العربي، وهذه أخطر!

وهكذا، كان اعتراف الإتحاد السوفييتي بالكيان الصهيوني مثابة كشف للهشاشة المبدئية من جهة وتماهٍ مع المركزية الأوروبية التي تنتظر إلى الأمم الأخرى بتعالٍ عرقي من جهة ثانية. قد يحتاج البعض أنه كان لتسلل عناصر صهيونية "من أصول يهودية" إلى المراتب الحساسة في الحزب الشيوعي السوفييتي وفي الأحزاب الشيوعية والعمالية في أوروبا الشرقية، تأثيراً في الإيعتراف بالكيان الصهيوني وإمداده بالسلاح، وهو أمر ليس مستغرباً، ويلقى في نفوسنا كعرب هوياً من التصديق.

يجادل كثيرون بأن موقف الإتحاد السوفييتي من الكيان الصهيوني تحدد عبر تقلبات موقف ستالين نفسه. وهذا تسطيح كبير للأمر، فليس شرطاً أن يكون ستالين هو الإتحاد السوفييتي، وبالتالي نحن نتحدث عن مركزانية (أوروبية) اشتراكية أكثر مما نتحدث عن موقف فرد ديكتاتور. فلا يمكن لدولة عظمى أن تُحكم من فرد كأنها عشيرة صغيرة⁵⁸.

لعل موقف الفراكتيا المشوش يحسم بدوره الأمر ويؤكد اختلاط الرؤية عند الحركة الشيوعية آنذاك، في حين كانت الإمبريالية ترى الواقع بعين صافية، ربما لأنها هي التي كانت تصوغ الأمور، لا تصوغ خطابات حماسية. ففي خضم الحماسة الثورية، اعتقدت الحركة الشيوعية آنذاك أن بالإمكان سحب البساط من تحت المشروع الإستعماري في فلسطين وبالتالي "إنقاذ" المشروع "الإستيطاني الإشتراكي" من برائن "التحريف" الإستعماري الراسمالي؟ أي تحريف هذا؟ لذا تقول فراكتيا:

"...لا يتوقف حل المسألة اليهودية على مجرد إعلان أو قرار يصدر عن عصابة الأمم الإستعمارية كما انه لا يتوقف على دولارات المتبرعين الأميركيين او الدعم الذي يقدمه الساسة الكبار. انها قضية المجتمع الطبقي الحالي، مجتمع السلطة والقهر. وسيكون باستطاعة الثورة الإجتماعية والبروليتاريا الطافرة إيجاد حل لها... إن أكثر مثال على ذلك هو ما يجري في روسيا السوفييتية، وباستطاعة كل عامل أن يفهم من ذلك أنه إذا كانت الحكومة السوفييتية قد استطاعت توظيف آلاف اليهود، فإن حكومة سوفييتية أخرى، في فلسطين مثلاً، تستطيع ان تفعل ذلك أيضاً⁵⁹".

ولكن، لم تقف مختلف التيارات الشيوعية نفس الموقف. فقد بقي التيار الماوي، سواء في دولة صين ماو، أو التيارات الماوية حتى اليوم معارضة للكيان الصهيوني ورافضة التطبيع معه. وكي لا نقود إلى خلط الأمور، فإن معظم الحركات الماوية ليست في المركز الراسمالي الغربي، والأهم انها مبدئياً ضد الإمبريالية والتحريفية السوفييتية بشكل خاص.

نعم، لكن "مياه كثيرة تدفقت في النهر". فهناك تغييرات ما في مواقف قوى يسارية في المركز، وهي مواقف لا بد من تطويرها، وأعتقد ان هذا التغيير ناجم في الأساس عن ثورة وصول

المعلومة إلى المواطن العادي إلى الرأي العام الذي بدأ يدرك ذلك الكم الهائل من الكذب الصهيوني والراسمالي الغربي. لكن هذا، وإن كان عظيماً، ليس كافياً، فما زال الجنود من أبناء الطبقات الشعبية في دول المركز يقتلون ويعذبون ويغتصبون في العراق وأفغانستان والعديد من بلدان العالم وحتى في اليابان. ناهيك عن أن المواطن في الغرب الراسمالي يرى بأعينه كيف تبرر دول المركز جرائم الصهيونية.

مثقفو النظام العالمي

كما اشرنا في غير موضع، فإن النظام الراسمالي العالمي ليس مجرد القوة العسكرية العدوانية العمياء، ولا بالطبع القوة والمصالح والجشع الراسمالي، بل له كذلك حوامله الثقافية والإيديولوجية، مما يستدعي إطلاق تسمية "النظام الثقافي الراسمالي العالمي".

ما نود التركيز عليه، هو أن الرعاية الإمبريالية الخاصة للصهيونية لعبت دوراً بارزاً في توفير أدوات القوة للصهيونية بحيث تتحكم إلى درجة كبيرة بالأكاديميا في الغرب الراسمالي، مما دفع كثيراً من الأكاديميين للتغاضي عن نقد الصهيونية تلافياً لقدرتها على إيدائهم. وإذا كان مثقفو اليمين هم في الغالب منحازين لصالح الصهيونية، فإن الأمثلة التي سأوردها متعلقة بمثقفي اليسار الذين يُفترض أن يكونوا ضد النظام الراسمالي العالمي، وبالطبع ضد الصهيونية.

كتب الإقتصادي المعروف أرجيري إيمانويل: "وفيما يخص إسرائيل، ينسى غالباً أنه إذا كان هذا البلد يمثل راس حرباً للإمبريالية في الوضع الخاص، والمحدد لسياق التناحر ما بين القوتين العظميين، فإن هذا نظراً لظروف خاصة. إن طبيعتها الحقيقية هي أن تكون كتلة صغيرة من المستوطنين "البيض" تتمدد أكثر فأكثر لاستعمار منطقة متخلفة"⁶⁰ ويرى إيمانويل أن تحالفها مع أميركا عارض ولا يعول عليه. وفي حين يتطرق إيمانويل إلى المستوطنات البيضاء في كتابه *التبادل اللامتكافئ*⁶¹ إلى كل من جنوب إفريقيا وروسيا (ص 185 و ص 370) ونيوزيلندا في المقدمة، وفي الصفحات 124، 266، 360، 361، 365، وكندا في صفحات عديدة منها كمستعمرة فرنسية، ص 127 وأستراليا في صفحات عديدة، فإنه في كل نقاشه للمستوطنات البيضاء بقدره قادر لا يذكر إسرائيل قط.

لست أدري بالطبع، من أين أتى إيمانويل بقناعة أن تحالف الكيان الصهيوني مع الولايات المتحدة تحالف عابر. يبدو أنه قد عجز عن التقاط ما أدركه كاوتسكي قبل خمسين عاماً، وما النقطة بريجنسكي بعده بخمسين عام أخرى⁶².

ويقع مايكل بارات براون في نفس خطيئة إيمانويل في كتابه *اقتصادات الإمبريالية* إذ يتعاطى مع جنوب إفريقيا (ص 172 و 191) كنموذج على زرع مستوطنة إمبريالية بيضاء في محيط

النظام العالمي لكنه يتغاضى تماماً عن وجود الكيان الصهيوني بما هو مثلاً أوضح وأكثر بشاعة⁶³!

وحتى إرنست ماندل وهو من كبار الإقتصاديين الماركسيين ومن أعمدة الأممية الرابعة/التروتسكية في كتابه المرجعي *النظرية الإقتصادية الماركسية*، لم يتعرض ماندل للدور الربوي لليهود، وهو الدور الذي تناوله ماركس نفسه بالنقد، رغم ان هذا امر تجب تغطيته في أي تحليل علمي لدور السمسة والربا ورأس المال التجاري في المراحل ما قبل الرأسمالية الصناعية والبنكية/المالية وحتى في حديثه عن المجتمعات الإستيطانية، فإن ماندل قد أشار إلى الفارق في الأجور بين المستوطنين والسكان الأصليين في روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية وكينيا، لكنه لم يذكر فلسطين وحالة الإستيطان الصهيوني رغم أنها مثال واضح على ما طرح. كما يتكرر الأمر لدى برنارد ماجوبان في كتابه *الإقتصاد السياسي للعرق والطبقة في جنوب إفريقيا*.

لكن اقتطاف تعريف انسيكلوبيدي للصهيونية مفيد هنا لتبيان الطرح الإيديولوجي المغلف بغطاء علمي:

" كحركة قومية يهودية فإن الصهيونية هي التي اضطلعت بإنشاء دولة اسرائيل العصرية، كوطن قومي لليهود، ورغم انها عموماً منسوبة إلى ثيودور هرتسل ومجموعات أخرى في القرن التاسع عشر، فإن الصهيونية تعود إلى بدايات الدياسبورا اليهودي، والسبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد، وتفجعات يرميا وبسال ال 137 على نفي اليهود الطويل عن صهيون (القدس)". أليس هذا اسطع الأمثلة على التحيز العلمي بلا علم. فلا نعرف بعد إن وُجد من اثبت أن الحمض النووي ليرميا ممتداً في بنيامين ننتياهو.

لكن الأمر يختلف حينما يصبح ذكر الكيان الصهيوني لا بد منه. فمثلاً تقارن سارة روي بشكل واضح في كتابها *قطاع غزة: الإقتصاد السياسي لعدم التنمية*، بين إسرائيل وبين الإستيطان الأبيض في جنوب إفريقيا والإستيطان الفرنسي في الجزائر، فيما يخص قوانين الأراضي، لكنها لا تتوسع أكثر من ذلك⁶⁴. أما تمار جوجانسكي، وهي عضو كنيست عن الحزب الشيوعي الإسرائيلي الذي يزعم انه غير صهيوني، فقد نظرت إلى فلسطين بمعزل عن سوريا الكبرى، وهي نظرة تنخرط في المخطط الإمبريالي /الصهيوني لفصل فلسطين ومن ثم اغتصابها. انه مدخل لماركسية تنطلق من اتفاق سايكس-بيكو لتجزئة المشرق العربي. لقد بذلت جوجانسكي جهداً ضافياً لإثبات غياب قوانين الديالكتيك في نمط الإنتاج الذي اسمته "تقليدياً" (مأخوذة في ذلك بنمط إنتاج إفتراضي لدى ماركس "نمط الإنتاج الاسيوي") حيث رات انه كان سائداً في فلسطين قبيل الإستعمار البريطاني. أما نتيجة هذا، الحكم القاطع فهي فقط تبرير الغزو الصهيوني الإستيطاني لفلسطين، ليصبح موقف السيدة جوجانسكي من إسرائيل مجرد الإعتراض على النظام الراسمالي من منظور ماركسي، وليس الإعتراض على البنية الإستيطانية الإقتلاعية⁶⁵.

وقد يكون مفيداً إيراد موقف جان بول سارتر الفيلسوف المتجول انتقائياً بين الماركسية والوجودية في كتابه *تأملات في المسألة اليهودية* الذي كتبه بعد المجازر ضد اليهود في الحرب الإمبريالية الثانية: "إنه لن يكون هناك فرنسي يعيش في أمان طالما كان هناك يهودياً يعيش في إسرائيل أو في أي مكان في العالم لا يشعر بالأمان". فهل طالت الحرب الثانية اليهود فقط؟ ثم ماذا عن عدم الأمان بل التشرد الذي عاشه الفلسطينيون بعد إستيطان اليهود في وطنهم؟ ماذا قال سارتر، لصالح الفلسطينيين، رغم أنه زار قطاع غزة عام 1965؟ لا شيء! ومع ذلك كتب سارتر بشأن الإستعمار في إفريقيا:

" ليس الإستعمار مجرد مسألة قهر، إنه بطبيعته مسألة إبادة ثقافية، فلا يمكن للإستعمار أن يأخذ مجراه بدون تصفية سمات المجتمع الأصلي⁶⁶". ألم يلاحظ سارتر أن هذا ما قام به الكيان الصهيوني في فلسطين، ولم ينجح؟

يكشف يائيل يوتان نفاق اليسار الإسرائيلي وتقاطعها مع اليمين بقوله: "عندما يصبح وجود الصهيونية وعقيدتها قيد الإختبار يتم عندها انسجام بين اليسار واليمين، وإن اليسار أكثر حماسة لربط إسرائيل كلية بأمريكا من اليمين".

أما صمويل هنتنجتون، وهو ليس من اليسار بالطبع، فيغلق باب التاريخ الإنساني على صراع أبدي بصرخة الموت التي أطلقها "صدام الحضارات" زاعماً أن الثقافة والهويات الثقافية هي التي تحدد انماط الصراع في فترة ما بعد عالم الحرب الباردة. وهذا يفتح الباب على الحديث عن الحضارة اليهودية ضد الإرهاب الإسلامي. أما والمسألة لديه دينية لا طبقية، فتعني أن العالم سوف يفني بعضه بعضاً. ولا شك أن هذا هو التطور الطبيعي لراس المال والمركزانية الأوروبية والعنصرية، أي لمركز النظام العالمي.

النظام العالمي: توظيف الأمم المتحدة لخدمة الصهيونية

الأمم المتحدة إحدى تمفصلات النظام العالمي، سواء في شكلها الأولي "عصبة الأمم" أو الحالي "الأمم المتحدة" حيث أقيمت كل واحدة منهما بعد جولة من الإحتراب الوحشي الإمبريالي على المستعمرات. أقيمتا لترتيب وضبط العلاقات ما بين دول المركز الإمبريالي، وأعطيتا تسمية دولية للتنمويه والنفاق السياسي. وإذا كانت الصهيونية العالمية ومن ثم دولتها هي من تمفصلات هذا النظام، بل ومن طبعته الأقدم من "عصبة ومن ثم هيئة الأمم"، فإن استخدام الأمم المتحدة لصالح الصهيونية ليس أمراً غريباً بل هو تطور طبيعي.

ربطت الأمم المتحدة دخول الكيان الصهيوني الى الجسم الدولي بقبول اسرائيل بقرار الأمم المتحدة رقم 194 الذي قضى بحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم والحق في التعويض لمن لا يمكنه العودة. لكن هيمنة المركز الرأسمالي على الأمم المتحدة جعل من هذا

القرار مسألة شكلية لم تلق نصيبها من التطبيق، كما لم تترتب على التنازل الصهيوني لحق العودة للشعب الفلسطيني أية عقوبات على الكيان الصهيوني. وبمقدار ما قامت "الأمم" المتحدة بأدوار معينة هنا وهناك في العالم، كانت منصفة في بعض الأحيان ومجحفة في غيرها، إلا أن دورها في فلسطين ما زال شكلياً وبلا تأثير مما جعلها في التحليل النهائي في خدمة الصهيونية. وهو دور ليس للأمم قرار فيه بل هو قرار المركز الراسمالي الغربي مقتعاً باسم أمم العالم.

في لحظة من صعود قوى التحرر في العالم، قطعت الجمعية العامة الأمم المتحدة شوطاً بسيطاً في نقد الصهيونية وذلك في 10 نوفمبر 1975 حيث حصل قرار اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري على 72 صوتاً مع، و 35 صوتاً ضد، وامتناع 27 عضواً. وهو قرار غير ملزم بالطبع. إلا أن المركز الإمبريالي للنظام العالمي غير هذا القرار، وأهان ما تسمى الأسرة الدولية وارغمها على إسقاط قرارها هذا عام 1984.

ولمن يتتبع، هناك سلسلة طويلة من قرارات الأمم المتحدة ضد إسرائيل لن تطبق منها إسرائيل شيئاً ولم تُعاقب عليها وعلى كافة عدواناتها على البلدان العربية وخرقها لحقوق الإنسان في فلسطين المحتلة حيث تمكنت الولايات المتحدة خاصة، وفي حالات كثيرة معها بريطانيا وفرنسا من الحيلولة دون التصويت على أي قرار يدين الكيان الصهيوني مهددة باستخدام "حق النقض" الفيتو، وهو في الحقيقة ليس حقاً بل اغتصاباً خلقته القوى العظمى لنفسها، وفرضت على مختلف بلدان العالم الموافقة عليه والإقرار به.

"...و علم من مصادر دبلوماسية مطلعة أن الولايات المتحدة طلبت من بعثة فلسطين المراقبة لدى الأمم المتحدة أن لا يتضمن مشروع القرار أي فقرة تشير إلى قرار الأمم المتحدة رقم 194 الخاص بعودة اللاجئين الفلسطينيين أو منح من لا يريد العودة إلى فلسطين تعويضات والاكتفاء بالفقرة 10 التي تدعو إلى تمديد ولاية الأونروا حتى 30 حزيران 1999، وإلغاء الفقرة التي تقول بأن الجمعية العمومية تلاحظ مع الأسف أنه لم تتم بعد إعادة اللاجئين إلى ديارهم أو تعويضهم على النحو المنصوص عليه في الفقرة 11 من قرار الجمعية العمومية رقم 194 "67.

نلاحظ مما تقدم أن الولايات المتحدة تعمل حتى على تضييع حق التعويض. وإذا ربطنا هذا الأمر مع دور الولايات المتحدة الأساسي في التسوية وقدرتها على إرغام السلطة الفلسطينية على أمور عديدة، فإن هناك خطراً حقيقياً بأن تحول أمريكا حتى دون مناقشة حق التعويض.

"وبررت الولايات المتحدة موقفها بأنها لا يمكن أن تصوت لصالح قرار يدعو إلى عودة اللاجئين الذي هو موضوع مطروح للمفاوضات الثنائية بين سلطة الحكم الذاتي وإسرائيل في المرحلة النهائية، إلى جانب الاكتفاء بإزالة الفقرة التي تشير إلى القرار 194 فإن الحكومة الأمريكية تستطيع تمريره في الكونغرس للحصول على المساعدات المالية المقررة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "68.

وهكذا فإن أمريكا تكون من جهة قد نجحت في حصر موضوع اللاجئين كبنء صغبر في المفاوضات الثنائية لا يتعدى حجمه قضية منزل صغبر في القدس ومن جهة ثانية فإنها لكي تقدم بعض السيولة المالية لوكالة الغوث المأزومة، فإنها تستغل الحاجة لهذا المبلغ التافه لاستبداله بالغاء نقاش موضوع حق العودة وحتى التعويض.

"ومن المعروف أن الولايات المتحدة قد دأبت منذ العام 1950 ليس على تكرار التصويت لصالح قرار تمديد ولاية وكالة الغوث ولكن بتولي تقديم مشروع القرار الذي يتضمن الإشارة إلى القرار 194 إلى أن توقفت عن ذلك منذ التوقيع على اتفاق أوسلو في أيلول 1993 بحجة أن موضوع اللاجئين أصبح موضوعاً ثنائياً بين سلطة الحكم الذاتي وإسرائيل"⁶⁹.

في زيارته لرام الله في نهايات عام 2007، تحدث الرئيس الأميركي بكل صلف أمام رئيس السلطة الفلسطينية بأن الأمم المتحدة قد خرجت من القضية الفلسطينية، وأن الأمر الآن بين الفلسطينيين والإسرائيليين برعاية أميركية. وليس هناك أخطر على أية قضية أن تُخرج من ايدي الأمم المتحدة -على هشاشة وضعها- لتوضع بيد الولايات المتحدة. وهذا مؤشء لا غبار عليه بأن الولايات المتحدة عازمة على شطب حق العودة. اي ان الولايات المتحدة تستغل الأمم المتحدة وتوظفها طالما هي لازمة للإستخدام، وفي حالات معينة، تلغي دورها تماماً⁷⁰.

في دعوتها للمشاركة في مؤتمر مدريد للسلام 1991، قبلت اميركا طلب اسرائيل باستثناء الأمم المتحدة من المشاركة في المؤتمر، سامحة بحضور رمزي لممثل عن السكرتير العام الذي منع حتى من الحديث.

في آب 1994 قدمت سفيرة الولايات المتحدة إلى الأمم المتحدة رسالة تلخص هدف الولايات المتحدة من الجمعية العمومية، وبشكل خاص لحذف قضايا العلاقات الإسرائيلية-العربية، وخاصة القضية الفلسطينية، من الأجندة السياسية للأمم المتحدة بزعم ان المفاوضات الثنائية الإسرائيلية الفلسطينية في عملية مدريد اوسلو قد جعلت من تدخل الأمم المتحدة امراً بلا معنى باستثناء المساعدات الاقتصادية والتنموية. لذا طالبت الولايات المتحدة بشطب قضايا اللاجئين والمستوطنات والحدود السيادية والقدس بان تحذف باعتبارها ستناقش ما بين الأطراف المتفاوضة نفسها. كما رفضت الولايات المتحدة السماح عام 2002 لمجلس الأمن الدولي بادخال لجنة تقصي الحقائق في احداث جنين.

وبجوار فلسطين، قامت الولايات المتحدة مدعومة من بريطانيا باحتلال العراق، وبعد اقل من شهرين، اعترف مجلس الأمن الدولي بأمريكا وبريطانيا "كقوى احتلال" في العراق بكل ما يترتب على ذلك من التزامات بموجب القانون الدولي!.

ويقدر ما استثنتت الولايات المتحدة دور الأمم المتحدة، فقد فعلت الأمر نفسه تجاه الإتحاد الأوروبي. ففي حين ان أوروبا دعيت لمؤتمر مدريد الا انها استثنتت عملياً، وحتى في اوسلو كان دور أوروبا المساهمة في التكاليف وليس المشاركة الدبلوماسية. ولا يختلف الدور الشكلي للرباعية الدولية حالياً عن دور الأمم المتحدة وأوروبا المهمشين على يد الولايات المتحدة. أما بعد إتفاقيات أوسلو (1993) فقد فرضت الولايات المتحدة تقسيم عمل على مختلف بلدان العالم تجاه السلطة الفلسطينية، فتولت هي الإشراف الأمني والسياسي، وتركت للإتحاد الأوروبي التمويل وتطوير القدرات الفنية، واليابان البنية التحتية، وللدول العربية التطبيع مع الكيان الصهيوني وتوفير اموال للسلطة الفلسطينية التي شجعت فساداً، وقبل هؤلاء ذلك بأدب جم!

النظام العالمي: خلقُ الصهيونية، قتل من أجلها وتوظيفها

قررت الصهيونية مبكراً أن تعيش بدورها وبعلاقتها مع القوى الكبرى، وحتى الانتقال الخدمي/الوظيفي ككيان مرتزق من الدولة الكبرى إلى الأكبر.

لذا، ففي مراحلها الأولى (1897-1914) بدأت الصهيونية السياسية بالإرتباط بالسلطان العثماني وقيصر ألمانيا، طامعة في قبولهما بالخطط الصهيونية. وحينما بدت الكفة راجحة لصالح بريطانيا خلال الحرب الأولى تحول تركيزها إلى لندن لأن بريطانيا ستصبح الحاكم الجديد على فلسطين. ومنذ أن بدأ نجم بريطانيا في الأفول خلال الحرب الثانية بدأ الكيان الصهيوني بتركيز علاقته بالولايات المتحدة ولا يزال.

من نافل القول الحديث عن إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين خلال فترة الإستعمار البريطاني 1917—1948. كانت تسمية الإستعمار البريطاني "انتداباً" على فلسطين مثابة تزوير مكشوف لحقيقة انها احتلت بالقوة وأن بريطانيا ابتزت عصبه الأمم لتحويل شكلي من احتلال استعماري إلى "انتداب"⁷¹، وهو تمويه لهدف بريطانيا النهائي وهو إقامة الكيان الصهيوني. لقد رعت سلطات الإستعمار البريطاني هذا الكيان سواء بتسهيل استجلاب المستوطنين اليهود من مختلف القوميات إلى فلسطين. وما كان لهؤلاء أن يدخلوا إليها لولا الحماية الإستعمارية. كما لم يكن بوسعهم البقاء فيها لولا تسهيلات هذا الإستعمار. وفي هذا السياق، لا داع لتكرار دور النظام العالمي ممثلاً في دول المركز.

تجدر الإشارة إلى أن مختلف موجات الإستيطان حصلت في أعقاب مذابح ضد اليهود، وهي مذابح تنسم ب:

أ- إنها من قبل اوروبيين أي لها اسس مركزانية أوروبية؛

ب- أنها من قبل أنظمة راسمالية، بمعنى أن اساس اضطهاد اليهود أوروبي وراسمالي.

كانت موجة الإستيطان الأولى ما بين 1882-1903 بدأت 1881-82 إثر مذابح ضد اليهود في شرق أوروبا، ودعم هذه الموجة البارون روتشيلد الفرنسي الجنسية. وبلغ عددهم قرابة

15,000 اقاموا مستوطنات ريفية وقلة انتقلت إلى البلدات. وهناك عدد ضئيل بينهم من اليمينيين عملوا في البناء والزراعة. لكن المشروع فشل وهاجر قرابة نصفهم إلى أماكن متعددة.

وحصلت الموجة الثانية ما بين 1904-1914، اي بعد ظهور الحركة الصهيونية وضمت 40 ألفاً لكن الصعوبات أدت إلى رجوع قرابة نصفهم، وقد كان من دوافعها اشتعال اللاسامية في روسيا القيصرية، وكان قسم منهم متأثراً بالإشترابية، إلا أنها مترابطة على نزوع استيطاني!

أما الموجة الثالثة فحصلت ما بين 1919-1923 اي في ظل الإحتلال البريطاني لفلسطين، وجلبت هذه 40000 مستوطن، غادر منهم عدد قليل. وهذا يشير إلى تبني بريطاني للمشروع الصهيوني بشكل عملي.

ففي أعقاب هذه الموجة وصل عدد اليهود 90 ألفاً. أما الموجة الرابعة فحصلت ما بين 1924-1929، وجلبت معها 82000 رجع منهم 23000 ألفاً. وجلبت الموجة الخامسة معها 174,000 مستوطن حيث تمت ما بين 1929-1939⁷². وهي تمت بالطبع في فترة النازية وتواصل المذابح في شرق أوروبا.

ليس هدفنا هنا متابعة تطور عدد المستعمرين المستوطنين، (وهو مطروح بشكل اوسع في باب –استجلاب- شراء المستعمرين) ولكن هدفنا إلى تبيان أن الرعاية الإستعمارية البريطانية للإستيطان اليهودي هي ما جعلت مشروع اغتصاب فلسطين ممكناً.

بالحماية كاستعمار، وباستجلاب مستعمرين مستوطنين من مختلف بلدان أوروبا وخاصة الشرقية، حصل تقسيم عمل غير مباشر بين أوروبا الشرقية والغربية وبين الرأسماليات الأوروبية لخلق الكيان الصهيوني. ففي حين قامت أوروبا الغربية ممثلة بالإستعمار البريطاني باحتلال فلسطين وتسهيل هجرات المستعمرين المستوطنين اليهود إليها، زودت أوروبا الشرقية هذا الكيان بالكادر البشري الأساسي وبالأسلحة عبر تشيكوسلوفاكيا "الإشترابية"! وفي حين مارست أوروبا الشرقية الذبح ضد اليهود وتبعتها لاحقاً النازية في ألمانيا، وفرت لهم بريطانيا وطن غيرهم. هذا ناهيك عن تزويد الكيان بالأسلحة والمساعدات المالية بحيث كان عام 1948 لهذا الكيان جيشاً أكثر عدداً وأعلى تسليحاً من الدول العربية السبع التي زعمت منع هذا الكيان من اغتصاب فلسطين.

وفيما يخص تمويل الكيان الصهيوني، يكفي ان نورد هنا المساعدات الأميركية والألمانية المعلنة للكيان لنعرف كم كانت ولا تزال معركة الشعب الفلسطيني ضد هذه القاعدة الإستيطانية شاقة.

" بلغ مجمل ما قدمته ألمانيا إلى الحكومة والأفراد والمؤسسات الإسرائيلية 31 بليون دولار أو 5345 دولاراً للفرد الواحد، وهذا ما يجعل حصة الفرد الواحد من مجموع المساعدات الأميركية والألمانية 20,000 دولار، حيث بلغت قيمة المساعدات الأميركية 134,800,000,000 دولاراً⁷³ .

لكن دول المركز الإمبريالي لم تكف بتسليح الكيان الصهيوني وتمويله وتسهيل وصول المستوطنين إلى فلسطين، بل حاربت نيابة عن هذا الكيان بواسطة متطوعين من مواطنيها: "فبعد الحرب الثانية (بين 1945-1948) قام اميركيون وكنديون بتهريب 60 ألفاً من اليهود بالسفن إلى فلسطين التي منها عشرة سفن أميركية. كان ذلك بعد زيارة قام بها بن غوريون لأميركا، لكن طواقم هذه السفن عملت لاحقاً في قوة ماخال، وهو الاسم الذي أطلق على اليهود وغير اليهود الذين تطوعوا من الخارج للخدمة في الجيش الإسرائيلي والبحرية والقوة الجوية. أنهم تلك المجموعة التي استجابت لدعوة الخدمة في القوات المسلحة الفعلية التي أسميت ماخال، وهو الاسم المركب للتسمية العبرية "متندافي شوتز لآرتص- أي متطوعون من خارج إسرائيل"⁷⁴ .

وهذا يثير تساؤلاً، لماذا يتطوع هؤلاء المرتزقة القتل للخدمة مع قوات مستوطنين يحتلون ارض غيرهم؟ هل ذلك جهلاً بالحقائق أم تعبئة فكرية وثقافية وتربوية عنصرية ومركزانية أوروبية؟

"هناك ما مجموعه 1,000 من الأميركيين الكنديين الذين خدموا في مختلف فروع القوات الإسرائيلية المسلحة، منضمين إلى 3,500 متطوعين من وراء البحار من 29 دولة. إن قرابة نصف الأميركيين والكنديين قد خدموا في القوات الجوية. بالطبع، لم تكن هناك قوة جوية تذكر لمختلف الدول العربية، فما بالك بالفلسطينيين. كيف يمكن لمستوطنين تحت "ما اسموه" الإستعمار البريطاني بنظرهم، أن يقيموا قواعد جوية ويمتلكوا طائرات قاذفة مقاتلة⁷⁵!"

يُعيد التاريخ نفسه مرة كما ساءة وأخرى كملهاة، فقد بلغ عدد الدول التي شاركت في العدوان على العراق عام 1991 إحدى وثلاثين دولة من بينها أنظمة عربية!

"إن معظم المتطوعين الغربيين كانوا من الناطقين بالإنجليزية -أو "أنجلو ساكسزم" حسب التسمية التي نحتها الإسرائيليون- فقد كانوا تواقين لوضع خبراتهم الحربية في الحرب العالمية الثانية عملياً للمساعدة في "الدفاع" عن الدولة اليهودية. وقد وفر هؤلاء خبراء متطوعين في القوات الجوية حيث شكل هؤلاء مركز أو نواة الطيارين اصحاب التجربة القتالية القاسية لأولى الأجنحة المقاتلة والقاذفة في طيران إسرائيل... وإضافة إلى ذلك، فإن الطيارين من اميركا الشمالية، الطواقم الأرضية والجوية هي التي أنشأت قوة النقل الجوي التي نقلت ال "ميسير شميتس" والأسلحة من مطار قرب براغ إلى قاعدة تل نوف في إسرائيل. ورغم انها

أثارت سخط بعض الرتب العليا في قوات الجو الإسرائيلية، آنذاك، فإن اللغة العملية لقوات الجو الإسرائيلية خلال الحرب، كانت بالضرورة الإنجليزية... لا بد ان نعرف ونتذكر انه ما بين 1947 و 1948 فإن قرابة 3600 ميخالينكس – المتطوعون من خارج إسرائيل، لنستخدم المصطلح العبري والمتطوعين من خارج إسرائيل، لنستخدم الترجمة الإنجليزية- قد تدفقوا إلى إسرائيل وقاتلوا ببراعة بداية مع البالماخ والهجناة، وبعد إعلان دولة إسرائيل عام 1948 – في جيش الدفاع الإسرائيلي. لا يعرف بالضبط عدد المتطوعين من كل دولة على حدة، ولكن تشير أفضل التقديرات إلى أن 1000 من الولايات المتحدة، و 250 من كندا، و 800 من جنوب إفريقيا، و 600 من بريطانيا، و 250 من شمال إفريقيا، و 250 من أميركا اللاتينية، وهناك فرقاً أخرى من فرنسا وبلجيكا. وهناك على الأغلب البعض من استراليا ومن الكونغو البلجيكية، وروديسيا، وفنلندا وروسيا. وقد أطلق على هؤلاء جميعاً متطوعين، اليهود منهم وغير اليهود، الرجال والنساء، حيث اتوا من 37 دولة لدعم الدولة اليهودية الجديدة في ساعة الحاجة العظمى إليهم⁷⁶.

من اللافت أن اكثرية هؤلاء المرتزقة هم من بلدان المستوطنات البيضاء، ناهيك عن أنهم جميعاً من الأوروبيين والأميركيين، أما من يسمون من شمال إفريقيا، فهم بالطبع من المستوطنين الفرنسيين في الجزائر، او من اليهود هناك إبان الإحتلال الفرنسي. إذا كان هذا التطوع العدواني مقبولاً من النظام العالمي، بل محفوراً منه، فلماذا يتم شن حرب على المتطوعين العرب إلى العراق اليوم؟

وبالمقابل، قام الكيان الصهيوني بالدور المنتظر منه لصالح مركز النظام العالمي. فقد عمل كثير من الإسرائيليين مرتزقة في بعض دول العالم الثالث، حيث عمل أكثر من ألفي جندي إسرائيلي في أفريقيا كطيارين ومظليين، وبعضهم يعمل في شركات أمن خاصة مثل شركة ليفدان. وحينما اشتعلت الحرب في كوريا عام 1950، انحازت إسرائيل بوضوح لصالح الولايات المتحدة⁷⁷. كما دعمت إسرائيل اسوأ الأنظمة الفاشية في العالم، كنظام بوتا العنصري في جنوب أفريقيا، ونظام موبوتو في زائير، وذلك بالدعم والتدريب العسكريين، وفرق الموت في سلفادور، وحزب الكتائب الفاشي في لبنان ومنظمة يونيتا في افريقيا الجنوبية، وتدعم القوات الفاشية شبه النظامية في كولومبيا، وهي في كل هذا تنفذ ما تطلبه منها الولايات المتحدة⁷⁸.

يرى قادة الكيان حجم وأهمية الدور الذي يؤديه للمركز، فقد عبر عن ذلك قادة إسرائيليون بصراحة ووضوح. يقول يعقوب ميريدور وزير التخطيط الإسرائيلي الأسبق: إن بديل إقامة إسرائيل للولايات المتحدة هو عشر حاملات للطائرات يكلف بناؤها خمسين بليون دولار، وذلك بالطبع عدا تشغيلها وتكلفة الجنود والخرج السياسي الذي يسببه وجود هذه القوات". كما أن الكيان مجزٍ من الناحية الاقتصادية، فيقول وايزمان "هل تمت أي عملية استعمارية أخرى غير

إسرائيل تحت ظروف مواتية أكثر من هذه: أن تجد الحكومة البريطانية أمامها منظمة لها دخل كبير، ولديها استعدادها بأن تقوم بجزء من مسؤوليتها التي تكلف الكثير. وكتبت مجلة الإيكونومست عام 1985 "إذا كانت أميركا تدفع ثلاثين بليون دولار كل عام لحلف الأطلسي فإن إسرائيل وهي المخفر الأمامي والقاعدة المستقبلية تستحق خدمة رخيصة أقل تكلفة لأميركا والغرب من أي خيار آخر" فهي عقد نفعي بين الحضارة الغربية والمنظمة الصهيونية العالمية لا يزال نافذا ولا يزال عائده مجزيا. "لعل هذا تأكيد على أن الكيان الصهيوني هو استثمار استراتيجي للنظام العالمي في المنطقة، فهو وإن بدا غير مربح في مرحلة ما، فإن الربح من ورائه عال جداً طالما يساهم في الحفاظ على هيمنة المركز على الوطن العربي، كثروات وسوق... الخ. يهدف مشروع الإندماج المهيمن، أو مشروع الشرق أوسطية إلى جعل الكيان مربح اقتصادياً ومهيمن عسكرياً، أي "إسبارطة ووادي السليكون معاً".

إن الكيان الصهيوني هو الدولة الوحيدة التي يسمح لها بصرف 25% من المساعدات الأميركية العسكرية لها في تطوير صناعاتها الحربية، بدل شراء اسلحة اميركية بكامل مبلغ المساعدة. وعشية قيام الكيان الصهيوني بعدوان 1967، ارسلت الولايات المتحدة يوم 25 أيار 1967 قوات مارينز إلى البحر المتوسط لتساعد اسرائيل في حال احتاجتها. وبعد عشرة ايام فقط من حرب 1967 ورد في مذكرة للإدارة الأميركية ما يلي: "ربما كان ما قامت به إسرائيل لصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط اكثر فيما يخص المال والجهد من اي ممن يسمون حلفاء وأصدقاء في أي مكان آخر في العالم، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

وفي عام 1996 أعلن عن قيام حلف دفاعي بين الولايات المتحدة وإسرائيل يستند إلى مجموعة من الخدمات التي يمكن أن توفرها إسرائيل، وهي: موقع جغرافي مثالي لانطلاق القوات الأميركية وبنى تحتية من الاتصالات والمواصلات، وخبرات حية في البحث والتطوير والاستخبارات وقدرة دفاعية تحمي التدخل الأميركي.

من شومبيتر إلى رايس

الحرب هي جوهر النظام الرأسمالي منذ بدء الإستعمار وصولاً إلى العولمة، ولعل أكثر من ركز هذا المفهوم في الراسمالية هو جوزيف شومبيتر. عبر عن ديناميك النظام الرأسمالي وخاصة فيما يتعلق بالتكنولوجيا المتقدمة والسلطة المحلية، ب "التدمير الخلاق"، بمعنى ان البنى القديمة للأعمال تتدمر على يد التطور وتطبيق تكنولوجيات جديدة، في بحثها عن "احتكارية جديدة" رغم انها مؤقتة. تخيل مؤيدو شومبيتر أن نبؤته قد تحققت بالإقتصاد الجديد اي بعد نصف قرن، حيث تمكنت القفزات التكنولوجية الكمبيوترية والإلكترونية والاتصالات (تكنولوجيا المعلومات) من تثوير بنى الأعمال على صعيد العالم. فالشركات الجديدة للتكنولوجيا

المتقدمة برزت لتتحدى عمالقة "الإقتصاد القديم" وأدت المنافسة إلى تفويض التواطؤ القائم ففقدت الحكومات سريعا مستوياتها الأمرية متبينة للتقدم التكنولوجي وللمستهلك ذي القوة الهائلة. لكن حقيقة الأمر كانت مختلفة على المستوى الاجتماعي الطبقي وبنية الشركة، فما زالت الشركة الكبرى متحكمة، ومهيمنة، بل تمخض مع الإقتصاد الجديد تكوين شبكة شركاتية عالمية أوسع وأكثر تواملا وتماسكا وتم تسخير الدولة لحماية ذلك والحرب من أجله، وهو ما نسمية "القطاع العام الدولاني الراسمالي المعولم". لقد تحكّم الإنسان بالآلة والتكنولوجيا والعلم، فهو خالقها، وبما اننا في حقبة الرأسمالية، فقد جعل منها شياطينا. وهنا الجانب الذي تحقق من أطروحة شومبيتر، حيث تولدت في الولايات المتحدة المحافظة الجديدة *neo-conservatism* التي استخدمت شيطان التكنولوجيا "والتمدّمير الخلاق" بصيغة جديدة حملتها كونداليزا رايس إلى الوطن العربي لتخليد نهب ثرواته واحتكار اسواقه⁷⁹ باي ثمن بما يلزم ذلك من تدمير وتفكيك البنى السياسية رافعة سياسة "فرق-تسد" إلى تركيز المركز وتفكيك/تذريير المحيط". لذا، لا غرابة في وجود تلك العلاقة الحميمة بين المحافظة الجديدة في الولايات المتحدة وتلك التي في الكيان الصهيوني!

فالكيان الصهيوني بجوهره الراسمالي المتمفصل مع رأسمالية المركز الإمبريالي، ثم المعولم، وبوجوده الإستيطاني، هو عدائي بالبنية والوظيفة معاً. ولا غرابة ان يكتب شاريت: " في ذهن بن غوريون والضباط الآخرين ليست إسرائيل قلقة لا على المستوى الدولي ولا الإقتصادي. وقضية السلام ليست موجودة. وما يحصل في المنطقة والعالم ليست ذات علاقة. ففي نظرهم، يجب ان تنظر الدولة إلى الحرب باعتبارها المبدأ، وربما الوسيلة الوحيدة لزيادة الرفاه وللإبقاء على التوتر المعنوي... إن عمليات الإنتقام هي إكسير الحياة... فهن اللاتي يساعدننا على الحفاظ على التوتر المدني والعسكري. فبدونها لن تكون لدينا أمة محاربة، ونحن بدون نظام حربي لا بد أن نضيع... لهذا السبب بوسعنا تفتيق المخاطر، وفي الحقيقة فإننا ملزمون بذلك. اعطنا حربا مع البلدان العربية وعندها فإن كافة مشاكلنا ستنتهي... قال بن غوريون ذات مرة، علينا ان نتجه إلى عربي ونعطيه مليون ليرة ليشن علينا حرباً"⁸⁰.

وقد يكون عدوان 1956 على مصر مثلاً على تفتيق المخاطر هذا. فحسب تقرير⁸¹ *US News and World Report*، فإن فرنسا وبريطانيا شنتا عدوان 1956 من اجل قناة السويس والحفاظ على النفط وإسقاط نظام عبد الناصر. ولكن شمعون بيرس قدم لاحقاً رواية اخرى: " إذا لم يكن الأمر من أجل عملية السويس، فقد كان الخطر هو ان بريطانيا وفرنسا ستغادران الشرق الأوسط قبل ان يتنبه الأميركيون إلى هذه المسألة، وبهذا يسمحون للروس بالتغلغل وتشكيل المنطقة بمعزل عن الولايات المتحدة. فبعد عملية السويس اصبح الأميركيون ملتزمين بالتوازن الإقليمي. إن هذا الإلتزام هو الذي شكّل موقف الولايات المتحدة من حرب الأيام الستة..."⁸² وبمعزل عن مدى صحة حديث بيرس، وهو من مصممي تلك الحرب، بمعنى أن الأميركيين لم يكونوا بحاجة إلى عميل يجرهم إلى المنطقة، فهم كانوا يُعدون لضرب آبار النفط بالنووي منذ 1951 إذا ما اقترب السوفييت منها، فإن هذا يؤكد الدور الوظيفي للكيان وقناعته بأن "الدول

الكبرى "مجتمعة هي شريان حياته، وإذا لم تكن مجتمعة فبعضها، ولكن الأقوى على الأقل. ومن هنا اهتمام الكيان ببقاء هذه القوى في المنطقة، لذلك: "حينما أصبح واضحاً لإسرائيل بأن بريطانيا تنوي إخلاء قناة السويس بذلت حكومة إسرائيل جهوداً مضنية لثني البريطانيين. وفي خطوة إثارة محسوبة بدقة، أرسل الإسرائيليون سفينة ترفع العلم الإسرائيلي إلى القناة واستغلت احتجاجها كي تُعلن "أن لا يمكن الإعتماد على مصر بتأمين حرية الملاحة في القناة لكل الأمم". وفي الحقيقة، فإنه خلال إدارة البريطانيين للقناة، لم تدخلها أية سفينة إسرائيلية. ولم تكن مصر مستعدة لمنح حق مرور للسفن الإسرائيلية قبل تسوية المشكلة الفلسطينية برمتها. ولأن إسرائيل كانت تدرك بأن فرنسا متورطة في حرب الجزائر، وبأنها معنية بهزيمة القوى المضادة للإمبريالية في المنطقة، وخاصة إسقاط جمال عبد الناصر، الذي كان يحرك هذه القوى، بدأت إسرائيل بإغراء فرنسا بالمشاركة في ضربة مشتركة ضد مصر، وحينما تمت الصفقة أُغريت بريطانيا بالمشاركة⁸³. وحينما توجه ناصر إلى هـ. بايرود سفير اميركا في مصر لشراء السلاح، رد الأخير بالجواب المكرر دوماً: "حينما تنضم إلى حلف بغداد"⁸⁴.

لكن للعميل حدوده التي يعينها السيد. "فقبيل حرب 1973، اتضح ان حكومة نيسكون كانت على علم بها، من خلال الملك فيصل منذ بداية عام 1973، فشركاء ارامكو كانوا قلقين مما قد تتمخض عنه هذه الحرب ولذا سربوا المعلومات إلى واشنطن⁸⁵.

يؤكد هذا على وجهة النظر التي حاجت بأن الولايات المتحدة تُمسك بلجام الكيان الصهيوني، وأحياناً تحاول تلقينه درساً كي لا يتهياً له أن يوسع العمل بمعزل عنها. لذا رغبت اميركا في أن يُلقن الكيان درساً، لكن أن لا ينتهي بالطبع.

"حينما بدا عام 1975 أن الحكومة الإسرائيلية راغبة في الذهاب إلى مؤتمر السلام في جنيف، هدد الرئيس الأمريكي فورد بأن أميركا سوف تسحب مساعداتها (نيويورك تايمز 3 تموز 1975). وقد أكد كيسنجر بوضوح أن سلاماً مقبولاً في الشرق الأوسط لا يعتمد كثيراً على الأطراف المتحاربة وإنما أولاً على موافقة القوى العظمى ومجالات نفوذها الهامة".

أما مفاقمة الدور الوظيفي للكيان الصهيوني، وهذه المرة بثمن باهظ لم يعتد عليه، فكانت حرب عام 2006 والعدوان على لبنان. فقد أدركت قوات الإحتلال الصهيوني منذ الأسبوع الأول للحرب أنها غير قادرة على تحقيق انتصار على مقاتلي حزب الله، ففضلت التوقف والزعم أنها قامت بضربة محدودة حفاظاً على معنويات جنودها. إلا أن الإدارة الأميركية أرغمت القوات الصهيونية على مواصلة الحرب لمدة 32 يوماً إلى أن انتهت بهزيمة واضحة. وعليه، أبانت هذه الحرب محدودية القرار الصهيوني في علاقته مع السيد الإمبريالي، وأنه حينما تتعارض مصالح السيد والعبد، يكون العبد هو الضحية.

الأنظمة العربية: دور وظيفي للنظام العالمي والصهيونية

تقتضي مراتبية النظام العالمي علاقات وظيفية من الأعلى إلى الأسفل، وهي علاقات تقوم على المصالح والدور، ومراتبية يفرضها مركز النظام العالمي على ما دونه لتقبله سواء بتشارك المصلحة أو بالدور أو بالفرض، مما يُغيّب المشاريع الخاصة بتلك البنى بدرجات، وهو ما قد يفسر الغياب الحالي لتحول المجموعة الأوروبية إلى قطبية جديدة. أما في الوطن العربي، فقد وصل الوضع بالدولة القطرية لتكون عدواً للمشروع النهضوي العربي منحازة لصالح المشروع الإمبريالي الصهيوني في الوطن نفسه.

أصبح غياب الدولة في أي قطر عربي مثابة حالة من "الديمقراطية" الشعبية التي تتيح الفرصة للقوى الثورية كي تدافع عن المشروع الوطني والطبقي والقومي ملحقة الهزيمة بالعدو كنعقوض لدور الدولة الكمبرادورية في استقبال الهزائم لهذا المشروع. هذا ما أكدته تجربة حزب الله في لبنان في العقدين الماضيين. وهو ما يؤكد واقعة أخرى مفادها أن هيمنة مركز النظام العالمي على الدولة في الوطن العربي يفترض المقاومة الشعبية للإثنين لأن الدولة لا تمثل الشعب بأي حال، "فالدولة عدو الأمة"، طبقة الكمبرادور هي احتلال داخلي.

بناء على الدور الوظيفي للأنظمة العربية في علاقتها بالنظام العالمي (قديمه وجديده) انتهت إلى أحد أطراف هذا النظام التي ساهمت ولا تزال في إقامة وتقوية والتطبيع مع الكيان الصهيوني. وفي الحقيقة، فإن توليد الكيان الصهيوني في دوائر الإمبريالية البريطانية قد ترافق مع تفكيك الوطن العربي وتوليد القطريات العربية في كل من اتفاق سايكس-بيكو 1916، ووعده بلفور 1917. وهنا يتوجب التذكير بأن المركز الراسمالي الغربي الذي تكفل بحماية الكيان الصهيوني من الشعب العربي، تكفل كذلك بإبقاء التجزئة العربية عبر حماية الطبقة الحاكمة في كل قطرية على حدة، وبالتالي فهذا النظام عدو مباشر وعلني للمشروع النهضوي العربي. بكلمة أخرى، فإن الحبل السري متواصل بين الكيان الصهيوني والقطريات العربية عبر تثبيت مشترك كل للأخر. وهذا ما اتضح في وقوف أنظمة عربية لصالح عدوان الكيان الصهيوني على لبنان عام 2006.

ليس هدف هذا الجزء من البحث الحديث من مؤامرات واتفاقات سرية، بل التدليل على الدور الوظيفي للأنظمة العربية عبر بعض وقائع الدور الرسمي العربي في بناء الكيان الصهيوني مما يؤكد تخارج الطبقات الحاكمة مبكراً. قد يشكك البعض في اتفاق ما بين هذا النظام العربي أو ذلك، ولكن لا أحد يشكك في إصرار كل قطرية عربية على تقادي مشروع الوحدة العربية، التي تشكل حجر الزاوية في هزيمة الكيان الصهيوني والنظام العالمي في المنطقة.

لا جدال بأن الكيان الصهيوني أقيم في الوطن العربي بالقوة. وهو الأمر الذي أكدته قيادات الحركة الصهيونية مراراً وتكراراً من جابوتنسكي وحتى نتنياهو. في مقالته الشهيرة عن الستار الحديدي عام 1923 كتب جابوتنسكي: "يجب أن يجري الدفاع عن حدود الإستيطان اليهودي في الأرض دوماً بالقوة العسكرية وحدها". لاحقاً كتب دان مريدور، الوزير في حكومة نتنياهو

السابقة، ان ما كتبه جابوتنسكي ضروري للدفاع عن هذا المشروع المدهش. اعتقد جابوتنسكي ان الهدف الأول هو بناء قوتنا وعندها فقط، عندما تتحلل قوة العرب على الإجهاز علينا والتخلص منا، وعندما لا يكون لديهم اي خيار سوى القبول بوجودنا، وتظهر جماعات معتدلة من بين ظهرانيهم يمكننا التفاوض معها، عندها فقط يمكن أن يكون هناك سلاماً. عندها نبني قوتنا ويفقدون قوتهم. وفي الحقيقة هذا ما حصل... ليست قوتنا العسكرية وحسب، وإنما قوتنا الإقتصادية وقوتنا الإستعمارية والسياسية هي التي قادتنا عبر السنوات الخمس والعشرين الماضية حيث اعترفت بنا دولة عربية بعد الأخرى⁸⁶.

وبعيداً عن حقيقة أن هذا الكيان لا يعيش إلا على أسنة الرماح، وبأن قوته العسكرية والإقتصادية تحديداً ليستا ذاتيتين إلا بدرجة تكميلية، فإن اختلال الموقف الرسمي العربي لم يبدأ باعتراف هذا النظام أو ذاك بالكيان الصهيوني، بل بدأ بالإعتراف الفعلي/السري بهذا الكيان منذ السماح بتدفق مئات آلاف اليهود العرب إلى هذا الكيان (رغم مزاعم الصهيونية بأن هؤلاء "طردوا" من الوطن العربي- انظر الباب التالي). ليست الدبلوماسية هي أول ما يحتاجه كيان استيطاني وعدو لكل من حوله، بل القوة البشرية باعتبارها آلة الحرب قبل الأسلحة من جهة، وقوة العمل للراسمالية اليهودية من جهة ثانية.

الهجرات إلى إسرائيل حسب البلد (1948-1995)

Immigration to Israel By Country (1948-1995)

813,708	U.S.S.R. and C.I.S.
345,753	Morocco, Algeria and Tunisia
273,957	Romania
171,753	Poland
130,302	Iraq
76,000	Iran
71,480	United States
61,374	Turkey
51,158	Yemen
48,624	Ethiopia
43,990	Argentina
42,703	Bulgaria
37,548	Egypt and Sudan
35,865	Libya
31,172	France

30,316	Hungary
26,759	India
26,236	United Kingdom
23,984	Czechoslovakia
17,912	Germany
16,277	South Africa
10,141	Yugoslavia
10,078	Syria

Jerusalem ReportSource:

كما هو بادٍ، فإن هذه الأعداد من اليهود العرب تدفقت إلى الكيان الصهيوني بعد اغتصاب فلسطين، وبعد عقد سلسلة اتفاقات هدنة مع دول الطوق العربية، وبعد أن أصبح الكيان في حالة استقرار نسبي وأصبح المستوطنون اليهود البيض (الإشكناز) بحاجة إلى قوة عمل وضيعة عرقياً وطبقياً بنظرهم، فكان تدفق اليهود العرب إلى الكيان.

تجدد الإشارة إلى أن تزايد تدفق المستوطنين إلى الكيان الصهيوني متناسب طردياً مع انخراط الدولة مصدر الإستيطان في النظام العالمي، وتحديداً اقتربها من المركز الأميركي. يوضح هذا مثالي العراق والإتحاد السوفييتي والمغرب (مراكش) بالطبع.

بعض الحكومات العربية وفرت غطاء قانونياً لتدفق اليهود العرب إلى الكيان الصهيوني. فقد سنت حكومة توفيق السويدي في العراق قانوناً في 4 آذار 1950 يجيز لأي مواطن عراقي يريد ترك البلاد أن يفعل. وبموجب هذا القانون تم تسهيل تهجير اليهود إلى فلسطين⁸⁷، في حين أنتهت الظاهرة بوصول القوى القومية واليسارية إلى السلطة.

أما النظام الملكي المطلق في المغرب، فسمح باستمرار تدفق اليهود إلى فلسطين المحتلة وكذلك بالسفر المتبادل مع الكيان الصهيوني، ولعب دوراً ولا يزال في تطبيع العلاقات العربية مع هذا الكيان.

كتبت جروزالم بوست: " إن د. شوركي وهو مستشار سابق ل بن غوريون، كان قد زار المغرب في الشهر الماضي بدعوة من الملك الحسن الثاني. وقال شوركي وهو إسرائيلي الجنسية من أصل جزائري ان الملك الحسن يأمل بأن يتم تحالف بين اليهود والعالم العربي بعد عشر سنوات من توقيع اتفاق سلام في الشرق الأوسط"⁸⁸.

صرح الأمير فهد الذي صار ملكاً في السعودية، في شهر ايار من عام 1977 بقوله: "إن على إسرائيل أن تطمئن بأننا لا نعترض على وجودها"⁸⁹.

أما في حقبة التسوية مع الكيان الصهيوني، فقامت الأنظمة المعترفة بالكيان مباشرة أو مداورة بالتبادل الإقتصادي معه في محاولات لنقل التطبيع الرسمي إلى المستوى الشعبي. وحتى بعد فشل مسيرة أوسلو، واشتعال الإنتفاضة الثانية ومحاصرة الكيان الصهيوني لأكثر من ثلاثة ملايين فلسطيني في الضفة والقطاع المحتلين، إتجهت مؤشرات التبادل الإقتصادي لهذه الأنظمة مع الإحتلال إلى الأعلى.

من 2006-2007 ارتفعت متاجرة الأردن ومصر مع الكيان بنسبة 42,8%⁹⁰، وبلغ حجم المتاجرة العربية مع إسرائيل عام 2007 ما قيمته 541 مليون دولار.

2007	2006
الأردن 174,8 مليون	306,9 مليون
مصر 203,9 مليون	234,1 مليون

وهناك 4 دول اخرى منها اثنتين خليجيتين لا تعلن إسرائيل بياناتها

في جانب آخر، تراوح المتاجرة البينية العربية بين 8,5-10 بالمئة، ولو حذفنا منها حصة النفط من المتاجرة بين الدول المنتجة والمستهلكة، لكانت هذه النسبة أدنى بكثير، في حين أن المتاجرة مع الكيان الصهيوني تتزايد بشكل ملموس.

مرة أخرى، ليس الهدف هنا مسح شامل لدور الأنظمة العربية في إقامة ودعم الكيان الصهيوني، ولكن الهدف هو تبيان دورها كاستكمال لوصف الدور الوظيفي لهذه الأنظمة في خدمة النظام العالمي والكيان الصهيوني.

استخلاص

كما أوضحنا غير مرة، خلق النظام الراسمالي العالمي الكيان الصهيوني من اجل دور وظيفي في المنطقة والعالم. وهو ما ربط مصيره بمصير الإمبريالية في المنطقة. ومنذ بدء الإستيطان الصهيوني في فلسطين وحتى اليوم لم يُبد هذا الكيان اية مرونة تجاه حقوق الشعب الفلسطيني كما لم يتوان عن لعب اي دور مضاد للتنمية والوحدة في الوطن العربي، وحتى على صعيد عالمي.

ولكن مجريات الصراع، ودخول قوى جديدة فيه، وخروج أخريات، بل خروجها بقناعات
مصلحية تحيز الخيانة، تعرض سيناريوهات أخرى لمستقبل الصراع العربي الصهيوني
ومستقبل المنطقة ومستقبل النظام العالمي فيها. لقد عرضت تطورات الصراع على الكيان
الصهيوني واحداً من خيارين:

- إما الإستمرار في حالة الحرب والعدوان الدائمين، وهو الخيار الدارج حتى الآن، وهو
الخيار المنسجم مع طبيعة هذا العدو ودوره.
- أو الإندماج في المنطقة العربية كإثنية أو أقلية على اساس المواطنة ضمن شكل ما لدولة
عربية هي للعرب ومختلف الأقليات القومية والإثنية والمذهبية على قدم المساواة بين
هذه الأقليات والأكثرية العربية.

إلا أن مصالح النظام العالمي في المنطقة، والدور الوظيفي للكيانات القطرية العربية،
وللكيان الصهيوني تذهب باتجاه آخر، تظهر مقدماته على الأرض وهو ما اسميه "الإندماج
بالهيمنة" أي إندماج الكيان الصهيوني في الوطن العربي إندماجاً مهيمناً *Integration*
Through Domination.

وبهذا المعنى يتمكن الكيان الصهيوني من الجمع بين "إسبارطة" أي الدور الحربي والمجتمع
الحربي، وبين وادي السيليكون "وادي سيليكون" للمنطقة فيكون هذا الكيان القاعدة الصناعية
التكنولوجية المتقدمة، ومركز الخدمات والتأمين... الخ، ويكون الوطن العربي محيطاً له.

هذا لا يعني ان الكيان سيكون لوحده، ولكنه سيكون راس حربة التبعية الإقتصادية وراس حربة
الهيمنة الإقتصادية. قد يكون الإندماج المهيم هو الترجمة العربية للشرق اوسطية، وسواء هذا
أو ذاك، فالمقصود بذلك تقوية الكيان الصهيوني عبر "دمج أو إلحاق المنطقة به"، وليس تزويبه
في المنطقة. وفي حالة حصول هذا الإندماج بالهيمنة، لا يتوقف الأمر على تصفية حقوق
الشعب الفلسطيني، بل ينطوي على تصفية فرص الحرية والتنمية في الوطن العربي بأسره. أي
ان الإندماج بالهيمنة هي حرب إجهاز على الأمة العربية.

وهذا يعيدنا إلى المربع الأول للصراع وهو ان هذا الكيان وكذلك النظام العالمي لا بد أن تُلحق
به الهزيمة الفعلية عبر المقاومة. ومن هنا نتبين مخاطر ذلك الشعار الراسمالي الغربي غير
المكتوب ولكن مفعّل، وهو ما اسميه "لا مقاومة في حقبة العولمة". وهو الأمر الذي يدفع باتجاه
وجوب التركيز على المقاومة لإلحاق الهزيمة بالمشروع الإمبريالي الصهيوني الكمبرادوري
العربي في المنطقة. لا خيار آخر. ولكن هذا الخيار، لا بد أن يكون عالمياً. فليكون تحدي هيمنة
الولايات المتحدة على شعوب العالم ممكناً، لا بد من تشكيل أممية شعبية لإنجاز ذلك. بكلمات
أخرى، فإن حرب الشعب (ماو) لا بد من توسيعها كي تشمل مختلف المستويات الإجتماعية
والإقتصادية والثقافية والسياسية وحرب الغوار على صعيد عالمي.

هو امش:

¹ تَشِي تسمية النظام العالمي الجديد بوجود خلفية تلاعبية من نَحْتها. لعل قراءة لهذا النظام تؤكد انه هو نفسه النظام الراسمالي (داخل البلد الواحد من حيث علاقات الملكية والإنتاج الراسمالية) وهو نفسه نظام التبادل اللامتكافية، وبالطبع تخليد التطور اللامتكافية عبر الإستقطاب، على صعيد عالمي، اي بما يتجاوز الدولة القومية. لعل ما أعرى بوش الأب بتبني تسمية "الجديد" هو الدور المتفرد نسبياً الذي مارسه الولايات المتحدة وهو القيام باحتلال بلدان في المحيط، وربما الإيحاء بأنه جديد من حيث أنه قام على "إنقاص" القطب الاشتراكي. ولكن هذا ليس جديداً، ففي حقبة ما قبل الثورة البلشفية وتبلور القطب السوفييتي كان احتلال المستعمرات أقل كلفة من المناورات العسكرية لجيوش الدول العظمى. وعليه، فإن عودة المركز للاحتلال والإستعمار المباشر لا يعني اختلاف النظام "الجديد" عن القديم، بل استدعاء تراثه الإستعماري المباشر. وهذا يفتح على انتقال راسمالية المركز نفسها من حقبة الإمبريالية إلى حقبة العولمة بمعنى أن التغيرات في النظام العالمي هي في علاقات مركز/محيط أكثر مما هي في القوانين التي تحكم نمط الإنتاج الراسمالي أو عموماً التي تشكل التشكيلة الإجتماعية الإقتصادية الراسمالية. إن تسمية "النظام العالمي الجديد" بالإعتماد أو الحصر في مسألة وحدانية القطبية يعطي النظام العالمي سمة عسكرية وقد يؤدي إلى تغييب أو وضع جوهرة الإقتصاد الطبقى في حالة رمادية، مما يقلل من وحشية هذا النظام وأحياناً يبرر إلى حد ما عدواناته. فحين تعلن القطبية الواحدة أنها ضد الإرهاب، يتهميه لكثيرين أن المسألة ليست أكثر من "حفاظ" على أرواح البشر!. وهنا يصبح النقاش في القطبية وعلاقات القوة وليس في الإستغلال ومصالح الطبقات، وهذا يقرب من يعتمد هذا المنحى من أطروحة "الإمبراطورية" لدى هارت ونيجري.

² يستخدم البنك الدولي مثلاً مصطلحات التنمية المستدامة والتنمية البشرية، وهي في الأساس مصطلحات اشتراكية، أو على الأقل ليست من خطاب البنك الدولي.

³ بتفكك الإتحاد السوفييتي وتراجع الإمبرياليات القديمة "العاجز" إلى الدرجة الثانية، لم يعد تقاسم العالم وإعادة تقاسمه بالحرب أو غيرها هو ما يحكم علاقات الإمبرياليات، بل أصبحت الإمبريالية الأعظم هي التي تقسم ما بين الإمبرياليات وحتى توزع الأدوار. هل ينسجم هذا مع أطروحة كاوتسكي، ما فوق الإمبريالية؟ لهذا حديث آخر.

⁴ الاشكنازية: حسب التعريف القاموسي فالاشكنازية هي وحدة من فرقتين من اليهود، وهي الفرقة القادمة من شرق اوربا والتي تتحدث البيديش. لقد هاجر الآلاف من هؤلاء للاستيطان في فلسطين. ان الاشكنازيين هم اليهود الاوروبيون البيض، وخاصة الشرق اوروبيين، الذين لعبوا دوراً رئيسياً في اقامة "اسرائيل". ان الاشكنازية هي التي بلورت الايديولوجيا الصهيونية الاستيطانية. على ان استخدامنا لهذا المصطلح مقصود به الاشارة الى ان الطائفة الاشكنازية هي النخبة الحاكمة في الدولة الصهيونية، وهو امتياز لها على طائفة اليهود الشرقيين (المزراحيين).

⁵ China is still a debatable case, it seems that class struggle is still taking place. If China is evolving towards a stable form of capitalism, its position towards peripheral countries will be different from its position if its recent developments are in a socialist orientation. The Nepalese Maoists consider the recent developments in China as democratic, but Slavoj Zizek (in his "China's Valley of Tears Is authoritarian capitalism the future? December 3, 2007 http://www.inthesetimes.com/article/3425/chinas_valley_of_tears) asks if China maintain any form of 'socialism' it will deeply influence the WO.

على أن الأمر لم يحسم بعد في الصين، بمعنى ان حراك صراع طبقي ما زال يعتدل فيها. قد يؤكد هذا الجدل الإيديولوجي الذي يتجدد في الحزب الشيوعي هناك أنظر:

Also see Stephen Green, China's "New Socialist Countryside, Standard Chartered Senior Economist" where Green explores how China should proceed to raise rural residents out of a cycle of poverty. BusinessWeek March 9, 2006

⁶ أهي ماساة أم ملهاة أن نسبة عالية من المستثمرين في السوق المالي السعودي من النساء، فالمرأة ممنوعة من قيادة السيارة، لكن مسموح لها بالمضاربة؟

⁷ See:

(1) Adel Samara, "Epidemic of Globalization: Ventures in the World Order, Arab Nation and Zionism", Palestine Research and Publishing Foundation, USA, 2001.

(2) Adel Samara, "Beyond De-Linking: Development by Popular Protection vs development by State:, Palestine Research and Publishing Foundation, USA, and Al-Mashriq Al-A'amil for Cultural and Development Studies, Ramallah, 2007

⁸ لا يعني ذكر الإتحاد السوفييتي هنا أنه كان بعيداً عن النظام العالمي. فهو نظام انتهى إلى راسمالية بلا راسماليين، ليولد النومنكلاتور التي "أزالت" التناقض وحولته إلى بلد راسمالي برأسماليين. ولذا، فهو، منذ الخمسينات القرن الماضي، على الأقل جزء ما بدرجة ما من النظام الراسمالي العالمي، ومعارضته للإمبريالية "الأصلية والأصيلة" كانت من باب التناقض القطبي الدولاني.

⁹ يلاحظ المتتبع أن الولايات المتحدة تترصد لحزب الله كما لو كان قوة عظمى. وهذا يفتح في حقيقة الأمر ليس على عدوانية الولايات المتحدة، بقدر ما يفتح على الموقع المتميز للكيان الصهيوني لدى هذا المركز الراسمالي المعولم.

¹⁰ بموجب اتفاقية نافتا، تُرغم كندا على تصدير مليون برميل نطف يومياً إلى الولايات المتحدة، وبما أن هذه الكمية إضافة إلى حاجة كندا تفوق إنتاج كندا من النفط، فإن كندا مضطرة لاستيراد هذه الكمية من السوق الدولي لسد حاجة أميركا بناء على الاتفاقية المذكورة!. لمعلومات إضافية، أنظر "العطش إلى النفط" تأليف ايان رتلينج، ترجمة مازن الجندلي، منشورات الدار العربية للعلوم ومكتبة مدبولي، 2006.

¹¹ في دراسته عن الإمبريالية أشار لينين إلى دفاع "المليونير وملك الأموال والمسؤول الأول عن حرب البوير 1895" سيسل رودس، دفاعه عن الإمبريالية بقوله:

"كنت أمس في شرق لندن (حي العمال) وحضرت اجتماعاً للعاطلين عن العمل. وعندما عدت إلى المنزل بعد الخطب الرنانة التي استمعت إليها هناك، والتي كانت في أساسها صرخة تطالب بالخبز... إنني ما فتئت القول إن الإمبراطورية هي قضية معدة. إن لم ترغبوا في الحرب الأهلية، فعليكم أن تصبحوا إمبراليين. لكن رودس لم يقل كما قال هرتسل إن على "الدول الكبرى مجتمعة أن تحمي الإستيطن اليهودي في فلسطين" أن تقوم بالإستيطن في ما اسمي لاحقاً باسمه، رديوسيا الجنوبية، فالإستعمار يغير الأسماء كذلك. وبقي هذا الإسم الردييء ملصقاً بذلك البلد إلى أن تحررت وأصبحت زيمبابوي.

¹² انظر محمد ولد إلي، الأصل غير اليهودي للصهيونية، في كنعان، العدد 113، نيسان 2003، ص ص 29-60.

¹³ Sharif. R. Non-Jewish Zionism: Its Roots in Western History. London Zed Press, Quoted in El Mai, (ibid) p. 40.

¹⁴ Kobler, F. Napoleon and the Jews, Jerusalem: Massada Press, p. 55.

لكن، حماية فرنسا للكيان الوارد في رسالة نابليون لن تكون بلا دور وظيفي لهذا الكيان، وهو ما أدركه عتاة الصهيونية اليهودية لاحقاً وخاصة هرتسل. على أية حال، فإن فرنسا المعاصرة هي التي زودت الكيان الصهيوني بأول مفاعل نووي في بداية خمسينات القرن الماضي، "مفاعل ديمونا".

¹⁵ الكيالي عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة العاشرة، 1990: 24

¹⁶ Tuchman, B. W. 1984, Bible and Sword: England and Palestine from the bronze age to Balfour. New York: Ballantine Books, p.192.

¹⁷ Ibid., p. 192.

¹⁸ مذكرة بالمرستون الى بونسونيي 11-8-1940، الخارجية البريطانية - خ ب- 78-390- رقم 134 - مقتطف من كيالي ص 24.

¹⁹ يثير هذا الإستهداف الإستعماري للوطن العربي سؤالا لا بد منه: ألا تعود مسببات العنف العربي والإسلامي ضد الغرب الراسمالي إلى هذا الإرهاب الراسمالي الغربي والمحاولات السابقة له واللاحقة عليه؟ هكذا تجب قراءة التاريخ إذا كان لا بد من فهم الحاضر.

²⁰ مقتطف من كامل العسلي، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882، دراسات حول التطور الإقتصادي والإجتماعي والسياسي: تأليف الكسندر شولس ترجمة كامل العسلي منشورات الجامعة الأردنية الطبعة الثانية عمان 1993. ص 66.

21 عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت الطبعة العاشرة، 1990، ص ص 21-22.

22 قاد التطور الرأسمالي المتسارع في روسيا بعد 1863 واصلاح الإقتصاد الروسي إلى تدهور وضع اليهود المتركزين في البلدات الصغيرة. كما ان الطبقات الوسطى في الغرب قد تحولت ضد اليهود الذين زادوا من سوء أوضاعها. على أن هذا ليس شرطاً انه ضد اليهود كدين، وإنما هو نتاج صراع طبقي.

23 أنظر مذكرات هرتسل الكاملة، الجزء الرابع ص 1302، مقتطف في الكيالي، مصدر سابق ص 36. لماذا لا يكون من قبيل الإنصاف للسلطان العثماني أنه رفض "منحهم" فلسطين، وربما كان الرجل على اطلاع ما بأهداف الدول الراسمالية الغربية في الوطن العربي الذي كان ضمن العثمانية، وإلا لماذا عرض غير فلسطين؟ وهنا يبرز السؤال: لماذا كان موقف السلطان عبد الحميد أفضل من مواقف أمراء العرب الذين وافقوا على هجرة اليهود إلى فلسطين، الأمير فيصل عام 1918 مثلاً. هل كان جهلاً منه بالأمر، أم أن التابع لا يستطيع رفض مطالب السيد! كانت العثمانية ضعيفة، لكنها كانت تقاوم ضد أن تكون تابعة. وهنا، لا يدخل عامل الدين في الموقفين، بل يدخل عامل المصالح، كما لا يدخل عامل القومية، بمعنى أن هناك بعض السلفيين الذين يربطون تهافت أمراء الحجاز أمام المستعمر البريطاني بالقومية العربية في محاولة منهم لتبرير موقفهم المضاد للقومية العربية. باختصار، في التبعية ومصالح التابعين الصغيرة، آنذاك، وحتى اليوم، تكمن كوارث هذه الأمة.

24 هناك ثلاث موجات للقومية على الصعيد العالمي، القوميات في أوروبا في القرن التاسع عشر، وموجة قوميات العالم الثالث، ثورات التحرر الوطني، في منتصف القرن العشرين، وهي تحررية كفاحية ضد الإمبريالية أكثر مما هي تطور طبيعي لتوجه ونشاط الأمة لضبط والسيطرة على سوقها القومي، ثم الموجة الثالثة للقومية المترافقة مع حقبة العولمة، وهي في أغلبها حالات مصنعة ومصنوعة من قبل المركز الرأسمالي، وهذا يجمعها بدرجة ما مع الصهيونية. هي غالباً إثنيات ورطتها شرائح كمبرادورية متخارجة في صراعات مع القوميات الأكبر في بلدانها وبالتالي ولدت تابعة للمركز ومن ثم أدوات له. (انظر :

Adel Samara: "Kosovo: Typical Example of the Third Wave of Nationalism, Collaborationist Nationalisms in Service of the Capitalist Core", located at Kana'an website: <http://www.kanaanonline.org/articles/01462.pdf>

25 Pete Brown: <http://home.flash.net/~comvoice/31cZionism.html>.

26 The Other Israel, The Radical Case Against Zionism, ed Arie Bober, Anchor, 1972: 41

27 ليس شرطاً أن يكون مارتن لوثر (وهو رجل الرأسمالية المبكر) ومختلف رجال الدين الذين نادوا بالإستييطان في فلسطين كارض مقدسة، مقتنعاً بأساطير شعب الله المختار وارض الميعاد بما هي روايات غير تاريخية كما ليس شرطاً أن يكون لدى هؤلاء إثباتات علمية على وجود قومية يهودية منتشرة عالمياً مع الغبار الكوني، أو أن الكيان الصهيوني الحالي إمتداداً لتاريخ مضت على انقطاعه وتبخره خمسة عشر قرناً على الأقل. فكثيراً ما تقوم عقائد وتربية أمم على أوامهم تقوم من أجلها حروب وتُسحق أمم. فلا شك أن الجندي الأميركي الذي يُقتل ويُقتل في العراق مأخوذ بوجوب الحصول على قدر من المال يشبع ثقافته الإستهلاكية، التي قد يموت دونها، ويكون هو أو غيره مقتنع بأن دوره "الديني الموحى إليه" بأن ينشر "الديمقراطية" في العراق، ويقاتل "الإسلام" كدين إرهابي... الخ.

28 لم يعد اعتناق الدين اليهودي شرطاً لاستجلاب مستوطنين في فلسطين، وهو الأمر الذي كشفته الإستجلابات الهائلة للروس من غير اليهود من الاتحاد السوفيتي السابق.

29 Matzpen: Israel in a Historical Perspective, Chapter 2

Israel and Imperialism : <http://www.matzpen.org/index.asp?p=chap1-02&u=>

30 هذا ما أكده بشكل مبكر كارل كاوتسكي في العقد الثالث من القرن العشرين، وردده بشكل لافت زبجنيو بريجنسكي عام 2006 بعد هزيمة إسبارطة" الصهيونية على يد حزب الله في لبنان.

31 Uri Davi, Israel an Apartheid State, Zed Books, London and New Jersey, 1987.

32 وصف نورمان فنكلشتاين استخدام الكيان الصهيوني للمحرقة ب "صناعة الهلوكوست"، في دراسة جريئة ورسينة ربما هي ذاتها التي كلفته مقعده الجامعي ولم يتراجع في زمن لا يضحى كثيراً من المثقفين بدولار انخفض سعر صرفه! على أن هناك سلسلة صناعات يرتكز عليها الكيان الصهيوني أهمها: صناعة القومية اليهودية، صناعة الهلوكوست، صناعة شعب الله المختار، صناعة استمرار تاريخ بني إسرائيل (تاريخ بلا تاريخ ولا جغرافيا)، صناعة اليهودي الجديد، صناعة متسادا، صناعة الهيكل، صناعة الدم اليهودي.

³³ مقتطف في عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت الطبعة العاشرة 1990 ص 38.

³⁴ هذا ما قاله لينين ل "البوند" أسف يا شباب، لستم أقلية قومية، مقارنة بمختلف الجنسيات، فلستم مرتبطين بقطعة "من الجغرافيا"

³⁵ يحاول إيديولوجيو الصهيونية الزعم بأن هناك امتداداً بين يهود السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد وبين دولة الكيان، أي اختلاق تاريخ متواصل. انظر عادل سمارة، الصهيونية والغرب، في مجلة كنعان، العدد 99، تشرين ثان 1999: ص ص 65-99. Grolier Multimedia Encyclopidia, 1996, Saul S. Friedman, Bibliography: Halpern, Ben, The Idea of the Jewish State, rev, ed (1969); Laqueur Walter, A History of Zionism (1972); Selzer, Michael, ed., Zionism Reconsidered : The Rejection of Jewish Normalcy (1970), Vital, david, Origins of Zionism (1975).

³⁶ الجماعات الوظيفية اليهودية: نموذج تفسيري جديد، عبد الوهاب المسيري، 2002 القاهرة.

³⁷ نفس المصدر السابق.

³⁸ K. Kautsky, Are the Jews a Race? (London, 1926), J. Jacobs, Marxists and Anti- Semitism, Kautsky's Perspective, International Review of Social History, p. 30-33 December, 1985, p. 426.

³⁹ الماركسية والصهيونية، ندوة خالد البلشي، في أدب ونقد، العدد 153 أيار 1998.

⁴⁰ Herzl Theodor, The Complete Diaries of Theodor Herzl, The Herzl Press and Thomas Yoseloff, London 1960.

⁴¹ انظر أمنون راز كروكستين، متدينون وعلمانيون في إسرائيل: الصهيونية، الثيولوجيا وازدواجية القومية، الكرمل، العدد 51 ربيع 1997، ص 203.

⁴² See David Witkins, The Exceptional Conflict: British Political Parties and the Arab-Israeli Confrontation. CAABU publications, 1984: 24.

⁴³ Witkins, ibid, p.19.

⁴⁴ تيودور هرتسل، الدولة اليهودية، ص 29.

⁴⁵ Aba Iban, The Jerusalem Post 4-7-1989.

⁴⁶ تحدثت السيدة كليتون في مهرجان انتخابي في ولاية بنسلفانيا الأميركية يوم 20 نيسان 2008 بأن اي هجوم إيراني على إسرائيل في عهدا (إذا انتخبت) يعني أنها ستزيل إيران من الوجود!

⁴⁷ Labor Party and Trade Union Congress, Memorandum on War Aims, (London, 1917), the Inter-Allied Labor and Socialist Conference's version is contained in C. Mcurdy A Clean Peace, London, 1918.

⁴⁸ أنظر إسرائيل شاحك، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف عامن (طبعة بدون تاريخ أو دار نشر) ص 60.

⁴⁹ انظر يول كليمان، الصهيونية والإشتراكية الديمقراطية الأوروبية خلال سنوات الحرب.

⁵⁰ Doreen Ingrams, Palestine Report, 1917-1922 (Hohn Murry, London, 1972), pp. 10-12, 39. Also, Harie & Herrman, pp. 83-84 Quated in Witkens, 1984, p. 34.

⁵¹ Socialistische Monaeshefte 1907, Pt. 2, 989.

⁵² S. Kaplansky, The Jews and the war, (Hague, 1916) 32-33.

⁵³ Declaration to the Hollando-Scandanivian Committee, in B. Borochoy, Class Struggle in the Jewish nation, (New Brunswick and London, 1984). 210.

⁵⁴ أنظر عادل سمارة، "مساهمة في الإرهاب".

⁵⁵ بول كيلمان، الصهيونية والإشتراكية الديمقراطية الأوروبية خلال سنوات الحرب، مجلة "كنعان"، العدد 75، نيسان 1996، ص ص 72-63.

⁵⁶ قرار الأمانة السياسية للجنة التنفيذية للأمية الشيوعية حول "حركة التمرد في عربستان" 16 أكتوبر 1929، المراسلة الأممية، المجلد 6، في 6 شباط 1930، ص ص 106-104.

⁵⁷ قد يكون استسهال الإعتراف بالكيان الصهيوني هو قياس على السوابق الإستيطانية البيضاء التي تم فيها الإجهاز الدموي الشامل تقريباً على الشعوب الأصلانية من جهة، وغياب عمق قومي تلجأ إليه تلك الضحايا بخلاف الفلسطينيين، بمعنى وجود العمق الشعبي العربي والإسلامي.

⁵⁸ لعل مزاعم حكم فرد بمفرده ونسب بلد بأكمله له قد انكشفت من أكاذيب الإعلام الراسمالي الغربي ضد العراق زاعمة كأن عدوها الوحيد في العراق هو الرئيس صدام حسين، ولو كان الأمر بهذها التسطیح لما كان من داع لوجود الإحتلال بعد اعتقاله، ولما وقعت الولايات المتحدة في مأزق تاريخي يحمل بذور تغيير وجه المنطقة.

⁵⁹ عن كتيب "من هم مخربو الهستدروت" إصدار المجلس المركزي لفراكستيا العمال، القدس، 18-4-1925 ص ص 8-9 مقتطف من سمیح سمارة، العمل الشيوعي في فلسطين، منشورات السوار، عكا، الطبعة الثانية 1980 ص 113.

⁶⁰ Arghiri Emmanuel, White-settler Colonialism and the Myth of Investment Imperialism, in new left Review, no 73, 1972.

⁶¹ Arghiri Emmanuel, Unequal Exchange: Study of the Imperialism of Trade, NLP Publications, 1972.

⁶² Zbigniew Brzezinski: "Neocon prescriptions [of use of force to try to change things unilaterally] of which Israel has its equivalents, are fatal for America and ultimately for Israel. They will totally turn the overwhelming majority of the Middle East's population against the United States. The lessons of Iraq speak for themselves. Eventually, if neocon policies continue to be pursued, the United States will be expelled from the region and that will be the beginning of the end for Israel as well." http://www.huffingtonpost.com/nathan-gardels/beginning-of-the-end-for-_b_26247.html

⁶³ Michael Barat Brown, Economics of Imperialism, Penguin, 1974.

⁶⁴ Sara Roy, Gaza Strip: the Political economy of de-Development. Institute of Palestine Study, Washington, D.C, 1995.

⁶⁵ أنظر عادل سمارة، الرأسمالية الفلسطينية من الشوء التابع إلى مأزق الإستقلال، منشورات الزهراء، القدس، 1991 ص ص 84-90.

⁶⁶ Quoted in Bernard Makhosezwe Mugabane, the Political Economy of Race and class in South Africa, Monthly Review, 1979, p. 66.

⁶⁷ أنظر جريدة القدس 3-12-1995 ص 3.

⁶⁸ نفس المصدر.

⁶⁹ نفس المصدر.

⁷⁰ أثناء كتابة هذه الورقة، عاد رئيس السلطة الفلسطينية يوم 25 نيسان 2008 من زيارة إلى جورج بوش قانلاً، لم تحرز محادثاتي مع الرئيس الأميركي اي تقدم! وهذا لا يعني غير أن بوش يدعو الزعماء العرب إليه ليلقنهم تعليمات كيف يخدموا الإستراتيجية الأميركية في المنطقة بما في ذلك الخضوع للمطامع الصهيونية.

⁷¹ ما أشبه هذا بقبول الأمم المتحدة لإحتلال أميركا وبريطانيا للعراق عام 2003.

⁷² [Aliyah Bet and Machal Virtual Museum](#). Jewish Virtual Library. A Division of the American Enterprise.

⁷³ Richard Curtiss, a retired US Foreign Policy officer, is the executive editor of the Washington Report on Middle East Affairs.

مقتطف عادل سمارة، وراء معجزة نمو إسرائيل: نهب وطن، إدارة جادة، وإغداق خيالي أميركي، في مجلة التراث والمجتمع، العدد 47 صيف 2007: 53-70.

⁷⁴ Article submitted courtesy of Dr. Fenton.

See also [Machal-Volunteers in Israel's War of Independence](#). The American and Canadian Contribution to Aliyah Bet Facing the British Blockade with Rusty Ships By Elihu Bergman. بعد كل ما فعله الإستعمار البريطاني للمستوطنين اليهود، يوصف بأنه قام بحصارهم.

⁷⁵ Ibid.

⁷⁶ Source: Article submitted courtesy of Dr. Fenton. See also [Machal-Volunteers in Israel's War of Independence](#). The American and Canadian Contribution to Aliyah Bet Facing the British Blockade with Rusty Ships By Elihu Bergman.

⁷⁷ Matzpen, previous source.

⁷⁸ Zionism, Hindutva, and Mickey Mouse Imperialism by Raja Harish Swamy
<http://www.proxsa.org/resources/ghadar/v5n2/zionism.html>

⁷⁹ استثمر أكثر من ربع أعضاء الكونجرس الأميركي في شركات شاركت في الحرب على العراق، وبناء على ذلك، لهؤلاء مصالح في استمرارها. ومن بينهم هيلاري كلينتون التي باعت أسهمها في ايار عام 2007. (هل كان ذلك تلافياً للنقد أثناء حملتها الإنتخابية-ع.س؟)

<http://rinf.com/alt-news/war-terrorism/151-congressmen-profit-151> Congressmen Profit From War
Wednesday, April 30th, 2008 [from-war/3283/>](#)

⁸⁰ Sharet, Moshe. 1978, Personal Diary. Hebrew. 8 vols. Tel Aviv: Ma'riv. Vol. III, pp. 1201-2.

⁸¹ US News and World Report 9 November 1956 Cited in Orr and Machover 1961: 297.

⁸² Evron, I. Suez 1956: New Perspective. Hebrew. Tel Aviv : Modan.1986:164.

⁸³ See M. Bar Zohar, Ben Gurion, the Prophet Armed.

⁸⁴ ما أشبه اليوم بالبارحة، فاي مطلب إنساني تطلبه حركة حماس لإتقاذ حياة اطفال غزة، يكون رد الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي: "إعترفوا بإسرائيل!!!!"

⁸⁵ Blair, 1976: 266-8 Sampson 1975: 243-8 and Yergin 1991: 593-7.

⁸⁶ مقابلة مع دان مريدور أحد قادة الليكود، أجراها آرييه شافيت في هآرتس 19-7-1996، نشرت في كنعان، العدد 86، تموز 1997.
⁸⁷ أنظر عباس شبلق، في كتابه إغواء صهيون، (Abbas Shiblak, The Lure of Zion, Al-Saqi Books, London, 1986)، فقد هاجر من يهود اليمن 45 إلى 46 ألفاً في عملية السجادة السحرية في ايار 1949 حيث تجمعوا في عدن التي كانت تحت الإستعمار البريطاني، لكنهم أتوا أيضاً من اليمن الشمالي، ونقلتهم طائرات اميركية وبريطانية. لقد حصل اليهود العراقيون في عملية عزرا ونحميا حصلوا على تأشيرات سفر إلى إسرائيل بشكل علني؟ كان القرار ان يبيعوا املاكهم، فباعوا بأسعار بخسة كان ذلك في منتصف عام 1951 حيث كانت الطائرات تطير عبر قبرص إلى إسرائيل عام 1951. وبعد بضعة اشهر، تم توجيه عملية نقل جوي عملاقة من بغداد مباشرة إلى مطار اللد. وانتهت عملية عزرا ونحميا أوائل عام 1952 تاركة ورائها قرابة 6000 يهودي فقط حيث ان أغلبية الجالية اليهودية التي يقارب عمرها 2500 عاماً هاجرت إلى إسرائيل.

⁸⁸ جريدة القدس، 6-6-1976، مقتطف في عادل سمارة، النضال الموحد في مواجهة دولة التسوية، 1977، منشورات المؤسسة الفلسطينية، القدس، ص 64.

⁸⁹ سمارة، 1977 مصدر سبق ذكره.

⁹⁰ القدس 10-2-2008